

قطاع الثقافة

423

الأعمال الكاملة للدكتور مصطفى محمود



غوما

دكتور مصطفى محمود



قطاع الثقافة

غوما

«الزعيم»

د. مصطفى محمود

مجموعة الأعمال الكاملة



د. مصطفى محمود

غـــومـــا

«الزعيم»

مسرحية من ثلاثة فصول عن

حياة البطل العربى (غوما) الذى

كافح الاستعمار فى الشمال الأفريقى

عشرين عاماً.

الفصل الاول

ســوق طرابلس الغرب.. نهار.. ساحـــة فسيحة يزدحم فيها الباعة وقــد صفوا بضائعهم على الأرض فى دكاكين واختلط الدواب بالمارة من كل لون.. جنود أتراك فى بذلاتهم الرسمية.. وعرب يلبسون الجرود.. وأعيان يلبســون الكاط الحريــر.. ومشايخ قبائـــل يلبسون البرنس المنقوشــ بالفضة والطربوشــ الأحمر ذا الـــزر.. وفرسان عرب على خيولهم.. ونساء محجبات لايظهر منهن إصبع خلف العباءات.

نـــرى سامرا يتحلق حوله المارة وفـــى الوسط على كرسى مرتفع يقف المنادى يدق جرساً.

المنادى -(**بصـــوت جهورى**) يا أهـل طرابلـس.. يا سـكان الديار
مـن كل الأعمــار.. صنا ع وتجــار وعرب وعــرب أخيـار..
بشرى هنية فى هذه الصبحية نزف لكم هذه الإخبارية..
لقـد هزمت القــوات التركيــة جيشـ الدولة القــره ماللية
وعـادت طرابلس إلى الخلافة العثمانية وسقطت الحكومة
الاستغلاليــة التى ذقنا علــى يديها شر البلية وهكذا زالت
دولة القــره مـاللى الظالمــة وانتهت سيطرتهــا الغـاشمة..

وعـاد الأمـان بعـودة الملك إلى يد مولانـا السلطان سليل آل عثمان..وجـاء الـوالى التركـى نجيـب باشـا وفى يده الفرمـان وخاتم الأمـان بتخفيف الضرائـب والجبايات والأعشـار والاستقطاعـات (يدق الجرس) ، ومن اليوم تكون المستحقات كما هو آت (يدق الجرس).

ضريبـة الطاقية على كل رأس آدميـة ٤٠ قرش تركية.. وعلى كل جمل وناقة ٤٠ قرش تركية.

معروف بن عون ـ (مقاطعاً فى سخرية) ترقية **والله** وأى ترقية.. مولانـا السلطـان ساوانـا بالحيـوان كل رأس **فيكو** يا جدعان عليها تعريفة قد الراس العجالى تمام.

المنادى ـ لا تهـرج يا معروف واشكـر السلطان لأنـه جعل أمثالك مـن الفجار أعلى شأناً من الحمـار فعلى كل حمار يدفع صاحبه أربعة قروش وعلى رأسك تدفع أربعين .. منتهى التشريف والعدل والتخفيف على أمثالك من الحلاليف.

معروف ـ حلاليـف حلاليـف بس نلاقـى العليـف ، وحياتك ما حد لاقى رغيف (**ضحك وضجة**).

المنادى ـ هس.. هس

(يـدق الجرس) **وعلـى كل شجرة ٥، ٢ قرش سنوية تدفع عن كل نخلة وزيتونة وكرمة أما باقى الأشجار فتعفى من الأعشار.**

معروف ـ (ساخراً) وهو فاضل ايه يا عم.. هو احنا بنزرع حاجة غير النخل والتين والزيتون؟

المنادى ـ يا معروف يا متلوف اسمع كلام السلطان وانت ساكت.

معروف ـ حاضر يا سيدى سمعنا وأطعنا وللخوخ زرعنا.

المنادى ـ أما العيون والآبار فعلى كل عين تستعمل للرى والسقاية ٢٥ قرش سنوية.

اما محاصيل الحبوب فيدفع منهـا أربعة أعشارها بمعدل مجيدى ذهـب عـن كل قنطار وعلى الجواهـر ١٦ بارة عن كل أوقية فضة ، ١٦ بارة عن كل مثقال ذهب.

ويعفى من هذه الضرائب الاتراك والكراغلة وأولادهم وكذا مشايخ القبائـل وأولادهم والقناصـل وجالياتهم الأجنبية كما هو معلوم فى المـكارم السنية والاعفاءات السلطانية (يدق الجرس)هذا وقد تفضل حضرة صاحب العـزة الوالى بدعوة عموم المشايخ من شتى الطوائف وكافـة أعيان طرابلس مـن التجار والعلماء للاجتمـاع به فى مسجد الشهيـد درغوت لأخذ العهد والميثاق وتوقيـــع الأوراق.. والرجاء عدم التخلف... والحاضر منكم يُعلم الغايب.

(ينزل المنــادى وينفض السامر.. ولا يبقــى إلا معروف ويوسف القــره مالـلى (عجــوز متهالك تتهدل لحيته البيضـــاء على صدره)

وغومـــا وأتباعه من مشايخ المحاميــد وفرسانها عبد الجليل وقاسم المحمودى وفرسان آخرون).

معروف ـ(يضرب القـــره ماللىعلى مؤخرته) قــره ماللى يوك..
انتهى عهد قره ماللى يوك.. حكومة استغلالية ذقنا على يديها شر البلية ، شلوت للقره ماللية.

يوسف القره ماللى ـ عصــر قــره ماللــى أعظم عصــر فــى تاريخ العــرب.. بحريــة طرابلـس فى عهـد سيادتنا أسرت سبــع سفــن سويدية.. وجــاء نابليون ليتوسط عنـد سيادتنا لإطلاق سراح السفن.. جناب نابليون.. جناب نابليون شخصياً.

أسطــول أمريـكان يدفــع لنـــا ٦٠٠٠٠ دولار رســم مــرور لسفــن الأمريكان فى البحر ، اسطول **قره ماللى** لا يسمح.. اسطول قره ماللى يغـرق **سفينة** حربية أمريكيــة فيلادلفيـــا.. ويأخذ قبطـــان **أمريكانى** أسير.. هـاهـا، هذا عصر قره ماللى..

معروف ـ الراجل بيخرف بيقول ايه ؟..

غومـــا ـ كلام صحيــح وارد فـــى التاريــخ يا معــروف.. يوسف قره ماللى صاحب جاه وسلطان وهيلمان مثل محمد على فى مصر دوخ دولاً كبرى.. وجاءت أيام وراحت أيام.

معروف ـ وراح القره ماللى.. مسكين قره ماللى..

عبد الجليل ـ(للشيخ العجوز) أيام امتشاق الحسام والضرب فى المليان ارتفع شأن قره مالـلـى.. بعدين قـره مـاللى يـأكل يوغورت ويحلى بقـلاوة ويسهر عنـد سعادات هـانم ويجمع البـارات من العرب بالكرباج انتهى شأن قره مـاللى.

يوسف قره ماللى ـ مضبوط افندم.. معاك حق افندم..

غومـا ـ(يلــوح بسيفه) فى إمكاننا نحـن العرب أن نكون أقوى من دولة قره مـاللى.

معروف ـ كيف يا مولانا والكرباج ورانا ؟

غومـا ـ الكرباج وراءنا لأننـا رضينا العبودية ، لأن العربى يدفع البـارات والقروش والعثماللى يبنى الأساطيـل ، العربى يـزرع النخـل والعثمـاللـى يأكل البلـح.. الوظائـف للترك وقيـادات الجيش للـترك والبحرية للـترك والعربى يكتفى بصنع النعال والأوتاد والخيام والجرود.

قاسـم ـ وما العمل ؟..

غومـا ـ الثـورة.. الخليفـة العثمانـى يحكمنا باسـم الاسلام فأين مسـاواة الاسـلام والدولة نصفهـا سادة ونصفهـا عبيد ، يجب أن نطالب بالمساواة بوظائف الدولة وقيادات الجيش وأن نقرر ضرائبنا بأنفسنا.

معروف ـ الضرائـب تـأتـى مـن فـوق ومن لا يدفـع بـالـذوق يدفع بـالعصـا.

غومـا ـ يجب أن نثور على العصـا.

معروف ـ نثور على الامبراطورية العثمانية كلها ؟

غومـا ـ(**فى عنف**).. إرادة صادقة واحدة تستطيع أن تدك الجبال.

قاسم ـ ومن أين لنا بالسلاح لنواجه جيشاً تركياً بأسره ؟

غومـا ـ(**يصرخ**) ـ نغصبه.

الكل فى همس ـنغصبه ؟!

غومـا ـ(**بعـزم**) يجـب أن تنقلب هـذه الرمال الوادعـة الهادئة جحيمـاً على غاصبيها وهـذه القنوات التى جفت من طول الخضـوع والخنوع تمتلىء دمـاً.. كل هؤلاء البدو الأشراف مـن بطـون هـلال وسليـم والعمـايم والنوايـل والغنايمة والرحيبات والرجبان والعبيدات والجوارى وأولاد معروف وأولاد ذويب، وأولاد قايد وأولاد عون واولاد سلطان.. الكل يجـب أن يثوروا يـداً واحدة.. يجب أن ننطلـق كالرياح فى الجهـات الأربع لنكون العيون والآذان لهم جميعاً.. أنت يا عثمـان تذهـب إلى مصراته وأنت يا عبـد الجليل إلى فزان وأنـت يا ميلـود إلى الدواخـل وأنت يا شقـرون إلى جنزور

وأنـت يا غريانـى إلى الجبل.. يجب أن تتحرك هذه النجوع ويخرج منها ألوف المردة.

يوسف قره مالـلى ـ عفارم.. عفـارم.. عثمااللى اضرب فى المليان.. قره مااللى اضرب معك.

معروف ـ (ساخـــراً) قره مااللى كحيـان.. حـاتضرب معنا بإيه ؟ حـاتهز ذقنك !

يوسف قره مااللى ـ ذقنى أطول من لسانك. خرسيس ؟!

معروف ـ حـاتعمل إيه قره مااللى والنبى ؟

يوسف قره مااللى ـ دعوات الله الكريم ينصر العربى الغلبان.

معـــروف ـ حرب علـى طريقةعشانا عليك يـا رب.. لا والله خليها لك.

غومـا ـ (نـاظـــراً فى إعجـــاب إلى القره مااللى) مـازال يثور وهو فى التسعين.. فـارس شجاع قره مااللى.

يوسف قره مااللى ـ تشكرات افندم.. الله معك.

غومـا ـ (ينظر إلى قاسم) والآن دورك يا قـاسم...

قاسم ـ أنا سـوف أذهب إلى يفرن.. هذه بلدى وسوف أجعلها تهب هبة رجل واحد.

غومـا ـ (فـــى تفكير) لا.. إنى أعد لك دوراً أكبر سوف تبقى معى..

ســوف نتشرف اليوم بلقاء نجيب باشا فى مسجد درغوت فــى وفد الأعيــان والتجار لــنرى ما يكون مــن أمر العهد والميثاق وتوقيع الأوراق.

معروف•ـ وأنا يا غوما ؟..

غومــا ـ يكفينا لسانك سلاحاً شريطة أن يكون قاطعاً كالسيف.

معروف ـ نعم.. نعم.. وهى أيضاً حرب مأمونة حرب الألسن هذه.. أدم علينا نعمتها يا رب.

غومــا ـ ليست مأمونة دائماً يا معروف.

(يظلــم المسرح تدريجياً ويسمع فـــى الظلام قرع جرس المنادى ونداءاته).

ـ إلى مسجـد درغوت يا معشر أعيــان طرابلس إلى مسجد درغوت يا مشايخ.

إلى مسجد درغوت يا تجار.

إلى اجتماع الوالى سيد البلاد نجيب باشا.

(يضـــيء المسرح فنرى مسجد درغوت ملآنا بجمهرة من الأعيان والتجار والمشايخ... أحمد قورجى نائب الوالى واقفاً فى الصدارة.. معروف وغوما وقاسم يتغامزون همسا المشهد ساعة ظهر).

أصوات ـ صاحب سعادة الوالى فى الطريق.

أصوات ـ أدام الله عز مولانا.. أدام الله عز مولانا.

أحمد قورجى ـ (**يكلم المجتمعين**) صاحب السعادة الوالى مهتم
كثـيراً بمطالب أهل طرابلس ورضاء أهل طرابلس..
الله أنقـذ هذه البلاد من ظلم القـره مالـلى وكرباج
القـره مالـلى علـى يـد الـوالى.. الله أراد لكم الخير
الكثـير بقدوم الباشا :.. قائد بحرى عظيم.. أسطول
عثمانى كبير، اثنان وعشرون سفينة بقيادة الباشا
يحمـى شواطـىء طرابلس مـن الكفـار الملاعين..
الباشـا : فكر كل يوم فى خير طرابلس.. الباشا أمر
بصك عملات جديدات..بـارات ومجيديات لتسهيل
المعاملات.

معروف ـ (**هامساً فى غيظ**) لتسهيل الجبايات ونشل الثروات

أحمد قورجى ـ السلطـان أصـدر فرمـان بتعيـين الباشـا علـى
ولاية طرابلس... الله نشكـر على الاختيار السديد..
تعظيمات كثيراً لله.. تشكرات كثيرات.. آمين.

اصوات ـ آمين

معروف ـ (هامسا) آمين ياخدكم أجمعين يا منافقين.

(صوت ضجة فى الخارج)

أحمد قورجى : مولانا وصل ..وقوف جميعاً تحية للباشا.

(يدخل الباشا محمولاً على كرسي وعن يمين ويسار خدم يحركون فـــى أيديهم مراوح للتهوية على وجهـــه.. الخدم يضعون المحفة فى مكان الصدارة)

الباشا : سلام .. سلام

الكل واقفون ـ سلام عليكم ورحمة الله.

الباشا : جلوس جميعاً.. جلوس.. اجلس أفندم اجلس.

(الباشا يناول الفرمـــان السلطانى لنائبه أحمد قورجى ليتلوه على أهل طرابلس)

الباشا : اقرأ الفرمان السلطانى أحمد قورجى.

أحمد قورجى : (**يبســط الفرمان ويقــرأ**) نحـن خاقــان البرين والبحريـن وحاكـم الدردنيـل والبسفـور وخليفـة المسلمين وسلطان آل عثمان نأمر بأن تكون ولاية طرابلس لعاملنا مصطفى نجيب باشا يتولى شئون المسلمـين فيهـا بأمرنــا وخاتمنا.. كلمتـه كلمتنا وطاعته طاعتنا (**يهتف**) أعز الله السلطان.

أصوات ـ أعز الله السلطان .

الباشا : أكرمين جميعاً.. مباركين جميعاً عرب شجعان..

اســلام منتصر بإذن الله.. نحن هنا نفتح صفحة جديدة نمحو فيها

مظالم قـره ماللى.. نسمـع شكايات ونحقق عـدالات ونخفف جبايات ونصدر إعفاءات عن مستحقات على الفقراء المساكين.

غومـا ـ (يصيـح) يـا سيـادة الباشا :.. أنـا أطالـب بالنيابة عن أهل البلد بإعفائنا من الضريبة على الأشجار.

أحمد قورجى ـ (**مقاطعاً**) ضريبة على الأشجار بسيط جداً افندم ٢،٥ قرش تركيـة تُدفـع سنويـة.. سنويـة.. فاهم أفندم.

غومـا ـ عن كل نخلة وزيتونة وكرمة ٢،٥ قرش مبلغ كبير افندم وهـذه السنـة قحط وجفاف والأمطـار مقطوعة من شهور والأشجار عارية من الثمار.. كيف ندفع عليها أعشار.

أصوات ـــ **تمام والله تمام.. كلام فى محلـه مولانـا.. نرجو النظر مولانـا.**

أحمد قورجى ـ كفر افندم كفى.. كلامك اللى بتقوله كفر..

فى عهد مولانا وببركة السلطان أمير المؤمنين لازم انزل مطر..

نقرأ الفاتحة جميعاً إن ربنا انزل مطر.. بسم **الله** الرحمن الرحيم.

الجميـع يقـرؤون الفاتحـة ـ الحمـد لله رب العالمـين الرحمن الرحيـم مالك يوم الدين إيـاك نعبد وإياك نستعـين اهدنا الصراط المستقيـم صـراط الذين أنعمـت عليهم غير المغضـوب عليهم ولا الضالين آمين .

أحمــد قورجى ـ ربنا قادر علــى كل شيء انزل مطـر.. والخليفة أمــير المؤمنين يقــرأ تبريكات ويتلو صلوات لله كريم انزل مطر (**بعنف إلى رجــل ضعيف من الجالسين**) فاهم أفندم فاهم أفندم.. انزل مطر.. ضرورى انزل مطر.

الرجل ـ فاهم أفندم.. انزل مطر.. ضرورى انزل مطر.

أحمد قورجى ـ انزل مطر.. ادفع جبايات عشان إصلاحات.

غومــــا ـ نحـن نوافق علـى دفع الضرائـب من أجـل الإصلاحات افنـدم ولكنا لا نجـد إصلاحات الضرائب تدخـل إلى كيس الجابى ولا يصل منها إلى الشعب شيء.

الباشا : الضرائـب نشـترى بها بنـادق وذخيرة وسـلاح ورواتب عسكر سنجق سلطان ليحارب الكفار ويحمى البلاد.

غومـا ـ الضرائـب تدفــع ثمن بنـادق وسـلاح لسنجـق السلطان تمام أفنـدم ولكن سنجق السلطان يستعمـل هذه البنادق ضدنـا نحن وليس ضد الكفار ليأخذ مزيداً من الضرائب.. وهذا ما يفعله سنجق الدولة بقروشنا.

أحمد قورجى ـ مـخ يـوك.. مخ يـوك.. عربـى مجنـون.. اعفى عنه مولانا.. اعفى عنه.

الباشا : (**يضحك**) فعلاً مخ يوك.. نعفى عنه.. نعفى عنه.

أحمد قورجى ـ تشكرات مولانـا ولسماحـة مولانـا وعدالـة

مولانا في معاملة العرب.. نقرأ جميعاً عهد وميثاق علينا بالطاعة.. كلمة مولانا علينا كلمة الخليفة وأمره أمر الخليفة وعصيانه عصيان الخليفة أمير المؤمنين حامي حمى الدين ورافع راية الإسلام..

الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم ..

الكل ـ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

الباشا : أكرمين جميعاً.. مباركين جميعاً.. مشايخ عرب شجعان.. وزع إنعامات مولانا السلطان على كل المشايخ.. كل شيخ قبيلة برنس ملكي مطرز بالذهب صناعة اسطنبول.. علامة الرضا السلطاني.

أحمد قورجي ـ تشكرات مولانا تشكرات (**يفتح الصناديق**).

أصوات ـ تشكرات مولانا تشكرات.

(أحمد قورجي يخرج البرانس ويتقدم المشايخ واحداً واحداً ويلبسون البرانس).

(يبقى واحد هو غوما شيخ قبيلة المحاميد.. يشير عليه زملاؤه المشايخ بأن يتقدم).

أصوات ـ (مشـيرة إلى غومـا) شيـخ غومـا المحمودى..شيـخ
قبيلة المحاميد.. اتفضل يا شيخ..

(غوما يتقدم فى تردد).

أحمد قورجى ـ (فـى دهشة) شيـخ المحاميد.. تقـدم مولانا عفا
عنك.. مولانا مسامح كريم..

الوالى ـ أى نعم تفضل.

(غومـا يتقدم فى غيظ).. (أحمـد قورجى يلبسه البرنس وهو ينظر إليه نظرة لها ما بعدها).

أحمد قورجى ـ والآن نوقـع علـى الأوراق.. بالموافقـات (مشـيراً
إلى أوراق بجانبه) معاهدات علينا جميعاً بالولاء
والطاعـة.. وكل واحـد يذهـب إلى حـال سبيلـه..
تشكـرات للـوالى..تشكـرات.

(يبـدأ كل واحـد فـى التوقيـع والانصـراف)

الباشا : (خارجاً على محفته) سلام.. عرب أكارم.. سلام .

أصوات ـ سلام عليكم ورحمة الله .

(لم يبـق الآن إلا أفـراد قلائل.. غوما ما زال يتلـكأ مع معروف ويحـاول أن يتسلـل دون أن يوقـع.. إشارة من أحمـد قورجى إلى الحراس..ينقض الحراس فيعتقلون غوما ويضعون فى يده السلاسل.. يقفز قاسم ومعروف كالقطط من نافذة المسجد هاربين.. يفر من تبقى فى ذعر).

يظلم المسرح تدريجياً.

(حينمـا يضيء المسرح نرى طريقاً يسير فيه طابور من الأهالي في السلاسل يحف بهم الحراس... قاسم ومعروف في ركن.. يوسف القره مالل يجلس متعباً على حجر.. المنظر ليل تضيئه الفوانيس).

قاسم ـ (مشيراً إلى الطابور) ما تبقى من عائلة القره مالل..
.. حـريم وأولاد وشباب وشيوخ وخدم وعبيد القره ماللية يشحنون اليـوم بـالبحـر إلى المنفـى.. لم يعف مـن هذا المصير سـوى الكهل الفـانى (**مشيراً إلى يوسف**) الشيخ يوسف القره مـاللى.

يوسف القره مـاللى ـ (يمسـح دموعه) المـوت أهون يـا ربـى..
الموت أهون (**يبكى**) حكمتك ربى.. حكمتك..
لا اعتراض.

معروف ـ مسكين شيخ يوسف (**ملتفتا إلى قاسم فى همس**)
وإيه أخبار الإخوان.

قاسم ـ الثـورة مشتعلـة فـى فـزان ومصراتـه وجنـزور والجبـل والدواخـل والمصـادمـات والاضطرابـات تقـع كل يـوم.. والغنـائم من البنـادق والذخـائر تتكدس.. والجيش التركى فشـل فى قمـع الاضطرابـات.. والسلطان فـى الآستانة ثـار لفشـل الـوالى مصطفـى نجيب باشـا وأرسل فرمـان بعزلـه وتولية محمد رئيف مكانه.

معروف ـ محمد رئيف حاكم الدردنيل.. رجل شديد ملعون.

قاسم ـ نعـم ولكنـه بـدأ بالملاينـة والمصالحـة وأفرج عـن غوما كمحاولة لتهدئة القبائل الثائرة.

معروف ـ (**فى دهشة**) غوما خرج من السجن.. وين هو ؟

قاسم ـ طار على فرسه إلى مصراته ليقود الجحافل الثائرة هناك.

معروف ـ واحنا منتظرين ايش ؟

قاسم ـ سـوف أتلقـى رسالة اليوم مـن غوما بالتعليمـات.. هناك حشود تركية تجهز الآن فى طرابلس ويجب أن نستعد لها.

هذه المرة يجهزون لنا المدافع.. تصور.

معروف ـ يا خبر أسود.

قاسم ـ مالك ترتجف هكذا ؟.

معروف ـ لا.. ولا حاجه..

قاسم ـ سأمرنك لتكون طوبجى عظيم..

معروف ـ لا ياعم يفتح الله.. أنا راجع أبيع روبابيكيا زى ما كنت

(**يديـر ظهره منصرفاً.. ما يكاد يخطـو خطوتين حتى تظهر شلة من عسكـر الترك بأسلحتهم قادمة..فيعود مهرولا لينكمش فى قاسم مغمغماً**)طوبجى طوبجى.. زى بعضه أمرى لله.

(**يسمع صوت دراويش ينشدون**).

(يدخلون فى موكب يحملون الفوانيس والأعلام الملونة للطريقة الشاذلية ويتمايلون منشدين)

مولاى صلى وسلم دائماً أبداً على رسولك خير الخلق كلهم.

(أحد هؤلاء الدراويش يحتك لحظة بقاسم ويدس فى يده خطاباً.. يمضى الموكب وهو مايزال ينشد).

مولاى صلى وسلم دائماً أبداً على رسولك خير الخلق كلهم.

قاسم ـ (**يفتح الخطاب بسرعة ويقرأ**) القافلة تصل بعد نصف الليل.. عشرة جمال تحمل التمر والعجوة.

معروف ـ تمر ايه وعجوة ايه.. وده وقت عجوة يا أخى.

قاسم ـ **اسكت يا معروف اعمل معروف.. (مستمراً فى القراءة)**

أرجو توزيع التمر على الإخوان فى تاجورة والاحتفاظ بالعجوة بعيداً عن الرطوبة.

معروف ـــ (**يضحك**) وغداً بإذن **الله** انتظروا حمولة أخرى من البسبوسة.

قاسم ـ (**مستمراً فى القراءة**) وبعد الفراغ من المهمة الرجاء الذهاب إلى سوق البلح.

معروف ـ بلح ايه وعجوة ايه وتمر إيه..

قاسم ـ هذه لغة السيم يا فهيم.. التمر يعنى البنادق والعجوة الذخيرة وسوق البلح هى القيادة فى مصراته.

معروف ـ يــا خبر اسود.. دى عجوة قطـران دى.. وحـانشيلها فين العجوة دى ؟

قاســـم ـ فــى دار ابــن منصور بعيـداً عــن الســاحــل ورطوبة البحـر (**مغمغمــاً**) خبطـة عظيمــة.. عشرة جمــال محملــة معناها خمسمائــة بندقيــة بذخيرتها.. معناهــا خمسمائة فارس من الخيالة العـرب.. معناها رأس حربة نضرب بهــا مؤخرة القوات التركية.. فكرة جهنمية.

معروف ـ غوما عفريت..

يوسف قرهماللى ـ الله انصر عربى غلبان.

معروف ـ دلوقت بتفتكرنا لما بقيت معانا فى الهوا سوا..

قاسم ـ وفى الكرابيج سوا..

يوسف قره ماللى ـ حكمتك ربى .. لا اعتراض..

قاسم ـ حكمته كبيرة الله شيخ يوسف..

يوسف قره ماللى ـ الله كبير منتقم..

معروف ـ يأخـذ بتــار الغلابــة اللــى زيــى واللــى زيـك.. آمــين.. الفاتحة على رأس الكافرين.. بسم الله الرحمن الرحيم

(يبدأ يتمتم الفاتحة)

قاسم ـ ايه انت ناوى توزع البنادق على الملايكة يحاربوا لك ؟

معروف ـ يـا ريـت يحاربـوا بدالنـا ويكفونـا شر المدافـع وشر الطوبجى والباش طوبجى يا لطيف.

قاسم ـ وتنام وتفتح عينك تلاقى نفسك خليفة.

معروف ـــ تمام خليفـة آل عثمـان وخاقـان البريـن والبحرين معروف بن عون بن رحاب بن طوق بن وشاح بن سطيح بن كلاب.. يا سلام.. يا حلاوة يا اولاد.

(عيناه تحلمان بعرش الخلافة).

(قاسم يلوى أذنه بعنف).

معروف ـ (يفيق فجأة) آى...

قاسم ـ إلى العمل نفر طوبجى.. لا وقت للأحلام. البنادق والذخيرة يجب أن تصل إلى أصحابها ، إلى العمل.

(يظلم المسرح تدريجياً)..

المشهد الآن غروب.. فى مقر القيادة فى مصراته.

مضارب خيام تبدو من بعيد فى الصحراء.

فـى الخلفية نيران معركـة وغبار وأصوات ومدافـع وخيول تكر وتفر.

وفى المقدمة خيمـة كبيرة تحتل نصف المسرح.. الخيمة مفروشة بالسجـاد العربى والأكلمـة وفيها حشايا للجلوس مصطفة حول موائد.. سقف الخيمة تتدلى منه قناديل عربية.

على بُعد مـن الخيمة فى الصحراء يقف بعض الاسرى الاتراك فى السلاسـل ونرى أكداساً من البنادق ومدفعـاً مكسوراً إلى جانب هذه الغنائم أكياس الدقيق ، وصنوف من التموين غنمت هى الأخرى. نرى عبـد الجليل علـى حصانه قادماً من الخلفية وقـد ربط إلى حصانه مدفعاً ثانيا غنمه.

غوما واقف بجـوار الخيمة يرسم بعصاه خطوطـاً على الرمال ، يحـدد بها تحـركات الأجنحة المهاجمة ويشرح لهيئـة قيادته هذه التحركات.

قاسم ـ (يصفق لعبد الجليل) عفارم عبد الجليل.

فارس مـن القيادة ـ لقد نجح الالتفاف المفاجـىء وفرَّت القوات التركية مذعورة تاركة مدافعها..

غوما ـ (فى صوت منخفض) يجب ألا نتوقف عن الحركة.

إن الارتباك الكامل هو فرصتنا.. يجب أن نختفى لنظهر.. ونتفرق حتى تبتلعنا الصحراء ثم نخرج فجأة وكأننا الجن ننحدر من كل الجهـات فى وقت واحـد وكأننا موجودون فى كل مـكان.. وكأننا مزروعون فى هذه الصحارى مثل الشوك لا قبل لأحد بانتزاعنا.

(عبد الجليل يصل إلى المقدمة ويترجل عن حصانه).

عبـد الجليل ـ القـوات التركيـة قد أخلـت المنطقة وفـرَّت تماماً وتركت قتلاها.

غومــا ـ فليذهـب بعضـ الفرسـان لإغاثـة المحتضريـن ونجدة الجرحـى (**يمضى بعض الفرســان إلى الخلفية**).. فكوا وثاق الأسرى وقدموا لهم الطعام.. أين معروف ؟

(**عبـد الجليـل يفـك وثــاق الأسـرى.. نـرى معروف خارجاً من إحدى الخيام يحمل طعاماً**)..

غوما ـ لقد أثبت معروف أنه يستطيع أن يكون طباخاً ماهراً.

معــروف ـ (**يــوزع الطعام علــى الأســرى**) كل اطفـح اتسمم افندم.. املأ كرشك افندم..

غوما ـ المعاملة بالحسنى يا معروف.

معروف ـ (**فى غيظ**) طيب يا سيدى اطفح بالهنا والشفا.

معروف ـ (**يوزع الطعام على الأسرى ثم يقودهم إلى مكان خلف الخيمة**).

اتفضلوا على المطعم الشعبى .. على تكية معروف آغا (يختفون عن الأنظار خلف الخيمة).

عبـد الجليـل ــ يجـب أن تأخـذ قسطـاً مـن الراحـة يـا غوما.. أنت لم تنم طوال البارحة.

غومــا ــ لا داعـى للعجلـة.. المـوت سـوف يعطينـا كفايتنا من النوم وزيادة.

عبد الجليل ـ لقد أعطيت للجند نوبة راحة.

غوما ـ أفضل أن أسهر مع الحراس.. فى مثل هذه الليالى المقمرة يحلو لى أن أحلم بعينين مفتوحتين مع القمر..

عبد الجليل ـ هذا شعر..

غوما ـ وهل الفروسية إلا شعر.. وإن الفارس إذا فقد قلب الشاعر لم يبـق منه إلا الجزار والسفاح والقاتـل.. ونحن لسنا قتلة يا عبد الجليل نحن عشاق أحببنا بلادنا لدرجة الموت .

(يرى قاسم مقبلاً من الخلفية).

قاسم ـ (مقبلاً) مـا أكـثر الجرحـى.. إن النخيـل سـوف يرتوى دماً هذه الليلة.

عبد الجليل ـ سـوف تكون ضربة الانتقام رهيبـة وربما جاءتنا على غرَّة.

قاســم ـ مـا كان يجب أن نترك الفلـول المنسحبة تهـرب دون أن نجهز عليها.

غوما ـ نحن فى حاجة إلى فرصة لالتقاط الأنفاس.

قاسم ـ سوف يستفيدون هم من هذه الفرصة أكثر منا.

غومـــا ـ إن قواتنـا المرابطة فـى طريق طرابلس لـن تمنحهم هذه الفرصة.. أن الخطة هى أن نستبدل الحرب الواحدة بعدة حروب فى عدة أماكـن فى وقت واحد وعدة ضربات فى وقت واحد فيخيل لأعدائنا أن

لدينا من الجنود بعدد ما لدينا من حبات الرمال.

عبد الجليل ـ ستكون حرباً طويلة.

غومـــا ـ إن عندنـــا عمق الصحـــراء بكل مـــا فيها من مـــدد بشرى وإمكانيات للضرب والاختفاء وإذا شددنا عليهم النكير فلن يبقى لهم إلا شريط رفيع على الساحل.

عبد الجليل ـ وسوف يكلفهم الاحتفاظ بهذا الساحل الكثير.

(**صوت أقدام.. أحد الحراس يأتى جرياً من الخلفية**)..

الحارس ـ رسـول من الوالى يرفـع الراية البيضـاء ويطلب مقابلة غوما للمفاوضة.

غومـــا ـ ادخلـه..

قاسم- (فى عنف) نحن لا نقبل مفاوضة.. لا تُدخل أحداً..

غوما ـ (**فى حدة**) قاسم...

قاسم ـ ليس لدينا ما نقوله للأتراك سوى الحرب حتى آخر جندى

غومـــا ـ نحن نحارب الامبراطورية العثمانية ، والسلاح وحده لا يجدى.. لابد من السياسة.

قاسم ـ هذا تسليم..

غومـــا ـ نحـن لا نحـارب للحرب وإنما لنـا مطالـب . وأى فرصة للحوار يمكن أن تكون مكسباً .

قاسم ـ نحن منتصرون فلماذا نمد يدنا إلى مفاوضة.

غوما ـ إذا حققنا مكسباً على مائدة المفاوضة فلن يكون انتصارنا قد ذهب هباء.

قاسم ـ هذه خدعة.

غوما ـــ لسنا وحوشاً فى غابة لا نملك ما نتخاطب به سوى المخلب والناب ، هذه بربرية وليست عسكرية.

عبد الجليل ـ غوما على حق.. يجب أن نستمع ولا نصادر أى فرصة للتفاهم .

قاسم ـ هذه خيانة للمبدأ.

غوما ـ أى مبدأ.. ليس مبدأنا أن نقتل.. لسنا قطاع طرق..نحن ثوار.

قاسم ـــ إنه استدراج لوثبة غادرة فيما بعد.. أنا أعرف..هذه طباعهم.

غوما ـ لن نخسر شيئاً (يربت على كتفه) لا تدع الحماس يجرفك.. إن الحروب لا تكسب بالأذرع وحدها ولكن بالحكمة والخبرة... إنك أصغر سناً مما يجب.. سوف تتعلم الكثير.. تعال (للحارس) أدع الرسول (متجهاً إلى الخيمة) وادع ضباط قيادتنا أيضاً.. ومشايخ القبائل الذين يحاربون معنا.

(يدخل الخيمة ومن ورائه قاسم وعبد الجليل.. ومن بعدهما تأتى بقية الفرسان وعدد من مشايخ القبائل.. ثم يدخل الحارس ومعه مندوب الوالى أحمد قورجى فى وفد من الأتراك).

أحمد قورجى ـ سلام عرب أكارم سلام..

اصوات ـ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أحمد قورجى ـ الـوالى يبلغكـم تحيـات مبـاركات ويمد يـده إلى إخـوان عـرب ويعطيكم كلمــة أمان ويقـول لكم لا بـد من توقيف حروب.. عربـى مسلم يحـارب تركى مسلـم يـوك.. اسلام يحضـ على السـلام ، عربى تركـى يد واحدة فى حرب على الكفار افندم.. مش نحارب بعض .

غومــا ـ الوالى محمد رئيـف باشا رفع الضرائــب وطرد الموظفين العـرب من ديوان الحكومــة.. وأعمل التقتيل فى الأبريــاء بحجة أنهم ضالعـون مع الثـورة.. هل هذه تعاليم إسـلام ؟ سيد قورجى لا جدوى من التفاوض مع الوالى .

أحمد قورجى ـ (يضحك) الوالى محمد رئيـف والى يوك..سلطان أصدر فرمان يعـزل والى.. سلطان **الله** نشكر صديق كبـير للعرب يعزل نجيب باشــا لإرضاء عرب يعزل محمد رئيف باشا لإرضاء عرب.. سلطان يحب عرب كثـير.. الوالى الجديـد صديق مخلص كثـير لعرب.. طاهر باشا والى جديد.. اختيار سديد.. **الله** يوفق.

(تدور القهوة العربية يحمل إبريقها معروف.. يقدم معروف القهوة إلى قورجى والى الأتراك فى شماتة)

أحمد قورجى ـ (يرشف القهـــوة محدثاً غوما) أول أمر لوالى

جديـد صلـح على غومـا شيخ المحاميـد.. شيخ
عربان وفارس الفرسان.. الاستماع إلى شكايات
غوما ، مطالب غوما ، شروط عرب أكارم اخوان
عشان توقيف قتال وحقن دماء.

غوما ـ شروطنا هى تخفيض الضرائب وإدخال العرب فى وظائف
الدولـة وقيادات الجيش وإلغاء امتيازات الأتراك وإعفاءات
الأتـراك والإفراج عن المسجونين والمســاواة أمام القانون
بين الأتراك والعرب.

احد المشايخ ـ نحن لا نريد إلا تطبيق الإسلام.. العدالة والمساواة..
لا فضل لتركى على عربى الا بالتقوى.

أحمد قورجى ـ كلام معقول افندم.. كلام نافذ افندم.. وهذا مرسوم
حضـرة والى (**يفتح لفافة المرسوم الذى يحمله**)
بتخفيضـ ضرائب وإلغاء ضريبة الأشجار وإعادة
الموظفين العـرب المطروديـن إلى دواوين حكومة..
وتعيـين غوما مديراً علـى منطقة الغريـان وتسليم
الأسرى العرب والإفراج عن مساجين عرب.

أصوات المشايخ ـ عظيم.. عظيم..

أحمد قورجى ـ بشرط إفراج عن أسرى أتراك فى حيازتكم.. وإعادة
السلاح والذخيرة والمدافع وكافة الغنائم من سلع
التموين وأدوات الحرب إلى حضرة والى..

(لحظــة صمت.. هناك شكــوك فى الجو.. المشايــخ يميلون على بعضهم يتهامسون).

أحمد قورجى ـ لابـد من معاملة بـالمثل افنـدم ، نحن نعطى كلمة أمـان.. عرب يعطى أمـان.. مفهوم افندم.

أصوات ـ معه حق..

ـ نوافق..

ـ لا نوافق..

ـ هذه خدعة..

ـ لا نرد السلاح..

ـ نرد السلاح..

ـ لن نخسر شيئاً..

ـ الأتراك لا عهد لهم..

ـ الأتراك غدارون..

ـ لا نستطيع أن نرفض يداً ممدودة بـالسلام.

الأصــوات تختلط ـ لا حل سوى الحـرب حتى يخـرج آخر جندى تركى.

ـ هذه شروط معقولة.

ـ ليس من الصـالح أن ينقسم المسلمون.

ـ أنا أقبل..

ـ أنا أرفض..

ـ هذا استسلام..

ـ الرأى لغوما ..

ـ لنسمع ما يقوله غوما..

غوما ـ (**فى هدوء**) أنا أقبل الاتفاق..

قاسم ـ (صارخاً) غوما..

غوما ـ إن العرض عرض شريف وبداية طيبة للتفاهم..

قاسم ـ ولكن هذه محض وعود..

غوما ـ لابد أن نبدأ بالنوايا الحسنة... ولا نفترض سوء الطوية بلا بينة..

أصوات ـ الرأى ما يرى غوما..

الرأى ما يرى غوما..

وشوشات غير واضحة.. البعض غير مستريح..

غوما ـ نحن لا نحارب لنقتل ولكنا نحارب لإحقاق العدل والمساواة ولنرى العهد الذى لا تفرقة فيه بين عربى وتركى وعلينا أن نرحب بأى خطوة تؤدى بنا إلى هذا الهدف.

كثرة من الأصوات ـ معقول..

غوما ـ ما رأيكم..

كثرة من الأصوات ـ نوافق..

أحمد قورجى ـ مـبروك.. مـبروك.. نشرب شربـات.. ونوقـع اتفاقات..

(يبسط المرسوم ويعطى القلم لغوما)

مبروك غوما.

منصب عظيم لسيادتكم.. مدير كبير لمنطقة غريان

تعظيمات سلام سلام لحضرتكم.

(تتعاقب توقيعات الضباط والمشايخ.. ويدور معروف بالشربات.. صوت زغاريد فى الخارج.. أصوات بنادق تطلق فى الهواء ابتهاجاً)

أحمـــد قورجى ـ **(فى سعادة)** ابتهاجات ، أفراح ، أعياد.. نخرج نشارك البدو فى الفرح بالسلام..

ظـلام الصحراء خارج الخيمة تضيئـه شعلات يحملها البدو الذين أقبلوا على أخبار الهدنة والصلح وتوقيف الحرب بين العرب والأتراك.. الخيمة تظلم الآن وقد خرج الكل إلى الصحراء .

(فـــى الخارج على ضــوء المشاعل رقص عربـــان وزغاريد وطبل ورقص خيـــل وضرب بنادق فى الهواء وأحمـــد قورجى يرقص.. صوت الرصاص لا ينقطع)..

(فجــأة يضع قورجي يــده على صدره صارخاً ــ آي.. صدري..

صدري.. عربي غدار (يسقط قورجي على الأرض يتلوى)..

عربي خاين مالوش أمان.. أمان ربي)..

يموت..

ستار

الفصل الثانى

(طريق فى مدينة طرابلس.. ليل.. الفوانيس تضىء الطريق.. بعض الباعة يفترشون الأرض ببضائعهم ويعرضون صنوفاً من الغزل والسجاجيد والاكلمة والمسابح والعطور والمكاحل ... اسكافي يرقع الأحذية.. حداد يصنع حداوى الخيول.. بائع فخار يبيع قللاً وأباريق وأوانى فخارية)

(نرى بدوياً على ظهره مخلاة يقطع الطريق وهو يغنى بصوت حزين.. يتحلق الناس حوله) :

لى زمان يا خال وانا باطوى البوادى طى.

الجلب عطشان وعطش الجلب ماله رى

اسود ضلام الليل يا خال ما فيه ريحة ضى .

هين ضلام الليل يا خال لكن ضلام الجلوب .

ضلام ما بعده شى..

آى... ندمان يا جلبى..

(نسمع وقع أحذية جنود.. ثم تظهر ثلة من الجند من سنجق الوالى يهاجمون الأهالى بالكرابيج).

أصوات جنود ـ ما بتفهم تعليمات والى.. ممنوع تجمعات فى الطرقات.. ممنوع تظاهرات .

الحداد ـ احنا واقفين فى حالنا.. احنا عملنا حاجة ؟.

جندى ـ حداد مجرم رئيس عصابات..

جندى آخر ـ بتصنع سيوف.. بتعمل سلاح ضد والى.. مجرم.

الحداد ـ أنا باعمل حداوى خيل.. سلاح إيه وسيوف إيه ؟

الجندى ـ كذاب رئيس عصابات بتصنع سيوف..

(معركــة بين الحداد والجنود ، الجنود يعتقلون الحداد واثنين مــن الشباب فى دكانه... الجنــود يمسكون بتلابيب عجوز يمشى الهوينا فى الطريق)..

العجوز ـ (فى فزع) **الله**.. **الله**.. لا حول ولا قوة إلا بـ**الله** .. ايه، فيه إيه ؟.

جندى ـ عربى غدار.

العجوز ـ أنا. راجل عاجز على باب **الله**..

الجندى ـ عربى خاين

العجوز ـ **أنا رجل دين**..

(اثنين من الشبان ينتزعان العجوز من يد الجنود).

أصوات ـ يا ظالمين يا كفار..

ـ تضربون أعمى ضريراً..

ـ قتلـة..

ـ آى..

ـ عربى مجرم ..

ـ على كل جبار يا رب..

ـ عصابات قطاع طرقات..

ـ لابد من تأديب..

ـ على السجن..

(يعتقلـــون الشبـــان الاثنين بينما يفر البـاقـــون.. يمضى الجنود يجرجرون المعتقلين ولا يبقى على المسرح الا الشيخ الضرير مكوماً على الأرض.. نسمع صوت البدوى يغنى من بعيد)

(لا تبـــك ع اللى راح يا خال دور علـــى اللى جاى ..لا تنوح على اللى مات يا خال اشفق على اللى حى.. ده الكل فانى ولا يبقى سواه الحى آى.. ندمان.. يا جلبى)

(نرى أحد البراميل الملقاة على الطريق يهتز ثم يخرج منه معروف حيـث كان مختبئـاً.. يخرج رأسه فى البدايـة ويتلفت ثم يخرج جسده ثم يقفز إلى الطريق فى خفة القط)..

معروف ـ يا ساتر يا رب.. أعوذ بالله (فى إشفاق) شيخ منصور.. مالك ؟.

(يذهب إلى الشيخ الضريـــر ويرفعه من مكانه ويقوده إلى دكان الاسكافى).

معروف ـ تعال يا شيخ منصور.. **الله** يجازى الكفرة.

(يملأ كوز ماء من الزير ويسقيه).

معروف ـ منهم **لله**..

الشيخ ـ أهذا يرضيك يا رب أن يهان رجال الدين..

معروف ـ لكل شيء نهاية.. الصبر طيب..

الشيخ ـ لا بد من كتابة شكوى إلى السلطان ..

معروف ـ وهو فين السلطان ده بيننا وبينه بحور ؟.

الشيخ ـ إذن نكتب لولى الأمر.. نكتب للوالى نجيب باشا.

معروف ـ صح النوم يا شيخ منصور.. نجيب باشا اتشلح من زمان وأصبح فى خبر كان.. السلطان أصدر فرماناً بعزل نجيب باشا وتولية رئيف باشا وبعدين فرماناً بعزل رئيف باشا وتولية طاهر باشا وبعدين فرماناً بعزل طاهر باشا وتولية حسن الجشمه للى وبعدين فرماناً بعزل حسن الجشمه للى وتولية عشقر.. ونحن الآن فى عهد عشقر.. الظلم اليوم اسمه عشقر.. وعشقر فى القلعة يسكر ويتعاطى المنكر.. تحب نكتب عريضة إلى عشقر فعشقر جالس يسكر فى مدغشقر..

الشيخ ـ (يضحك) دمك خفيف يا معروف.. أضحكتنى يا شيخ..

معروف ـ شر البلية ما يضحك..

الشيخ ـ والله البلد فى بلاء عظيم وما العمل ؟

ـ ليس العمل أن نكتب شكاوى يا شيخ.. العمل أن نحارب..

ـ وضرير مثلى كيف يحارب ؟.

ـ تخرج من عزلتك يا شيخ.. أنت رجل دين لك مكانتك فى القلوب.. وعزلتك بعيداً فى تونس تؤلف وتكتب التفاسير والشروح الدينية لا جدوى منها.. أنت تدخل فى كل بيت وكلمتك مسموعة وتستطيع أن تجعل من كل بيت خلية ثورية وثكنة عسكرية.

(صوت رصاص وطلقات بنادق..يدخل معروف ومعه الشيخ منصور فى دكان الإسكافى ثم يختفيان فى سرداب.. صوت الطلقات يقترب ومعها أقدام مهرولة.. نرى عربياً يحمل بندقية ويطلق النار خلفه ثم أصوات أرجل تطارده ومعها صيحات تقترب.. العربى يدخل دكان الإسكافى ويختفى فى نفس السرداب.. يظهر على رأس الطريق جنود ترك يحملون البنادق.. ما زال الدخان يخرج من فوهات البنادق... الجنود الترك يتلفتون).

ـ عربى شيطان ..

(أصوات طلقات رصاص فى جهة أخرى.. ينطلق الجنود الترك مهرولين نحوها ويختفون من المسرح.. تمضى لحظات ثم يخرج الثلاثة رؤوسهم معروف والشيخ والمجاهد العربى ثم يقفون فى حذر إلى جوار الباب).

المجاهد العربى ـ الثورة فى كل مكان.. الرصاص ينطلق من بيت لبيت.. سبعون شيخاً شنقوا فى الميدان الكبير.

الشيخ ـ لا حول ولا قوة الا بالله..

المجاهد الكبير ـ وعبد الجليل قبض عليه وقتل.

معروف ـ لا اله الا الله.. خسارة لا تعوض.

المجاهـــد الكبير ـ الـوالى التركى فى حالة جنـون بسبب ما فعله غومـا فى معركة الهيرة.. غنائم وأسرى وقتلى أتراك بالمئات.. الوالى يشعر أنه مهدد بالعزل..

معروف ـ زمان السلطان بيكتب الفرمان.

(أصوات طلقات.. يختفى الثلاثة.. الطلقات مستمرة)..

(يظلم المسرح تدريجياً)..

(قصـــر الوالى عشقر فى القلعة.. ليـــل.... بهو على الطراز العربى بسجاجيد عجمية.. أثـــاث فاخر ، ثريات تتلألأ.. تماثيل.. تحف حراس على الأبواب شاكو السلاح.. عشقر.. يداه خلف ظهره يروح ويجىء فى عصبية كأسد حبيس فى قفصه ويبرطم بين حين وآخر)

عشقر ـ (يبرطم) غوما .. (يروح ويجىء ثم يبرطم)

غوما.. (يروح ويجىء) غوما.. (يروح ويجىء ثم يصرخ فجأة):

ـ فريق أركان بكر بك.. يحضر حالاً..

(ينطلــق الحـارس.. ثــم تمضى لحظة ويدخل بكــر بك فى خطوة عسكريــة .. ينقض الوالى عشقر عليه ويمسكه من كتفيه ويصرخ فى ثورة) :

عشقر ـ أنـا قلـت لازم جيـب رأس غومــا.. لازم جيـب رأس غوما حضرة فريق بكر بك..

بكر بك ـ ممكن جيب رأس غوما.. لكن مش بـالحرب حضرة والى.. كل الشعـب مــع غومــا.. الجيش مش ممكـن حـارب فى كل بيـت.. لازم نشوف طريقة ثانى.

عشقر ـ إزاى فريق بكر بك.. نعمل حجاب فريق بكر بك ؟

بكــر بك ـ لا حضــرة والى ـ فيه فرصة ذهبيــة حضرة والى.. فيه خلاف فى قيادة الثورة بين قـاسم وغوما.. خلاف شديد على السلطة.

(عشقر يزوم فى فرحة خبيثة).

بكر بك ـ أثنــاء مفـاوضـات مع أحمد قورجى غوما أمسك منصب مديـر.. قـاسم محمـودى اتجن إزاى غومــا امسك منصب مديـر وهــو يـوك .. قـاسم اضـرب قورجــى بـالرصـاص عشان فشكل فوضـات..

عشقر ـ قـاســم هــو اللى اضـرب قورجى بـك بـالرصـاص (يزوم فــى خبث ويفكـر ثم يرد فى ذكاء) فــى داهية قورجى.. قـاسم يـاخد منصب كبير فريق بكر بك.. قـاسم يبقى نـائب والى.. مفـاوضــات مع قـاسـم فـارس فرسان وشيخ عربـان

احنـا نوسع خلافات ونوقـع فتنات.. نضرب رأس قاسم محمودى برأس غوما محمودى نخلص من عيلة محمودى ومـن قبيلـة محاميد ومن العـرب كلهم.. عفـارم بكر بك.. عفارم.

بكـر بك ـ نبعث رسل عـرب ثقـات إلى قاسم.. نعطى كلمـة أمان.. ودعـوة لمقابلة حضرة والى فى السراى عشـان مفاوضات واتفاقات وإنعامات.

عشقر ـ خطة تمام بكر بك ، خطة تمام.. تنفيذ حالاً..

(بكر بك يؤدى التحية العسكرية وينصرف.. الوالى يروح ويجىء فى عصبية وهو يغمغم مبتسماً بين وقت وآخر).. غوما.. غوما..

فجأة يصفق ـ والآن تسليات ورقصات.. وإصلاح مزاجات.

يصيح ـ سعادات هانم..

(يختفـى الحارس لحظة.. ثم يدخل تخـت شرقى وفرقة راقصات ومغنيات على رأسها سعادات هانم.. توضع مائدة شراب.. يبدأ عشقر فى غناء توشيح تركى بصوته القبيح ويتمايل مع النبرات.. سعادات تشرع فى الغناء معه.. يبدأ فى الرقص مع فتيات الفرقة الصغيرات الجميلات.. قبلات وضحكات وقرصـ وغمز ولمز.. ما زال الوالى يغنى.. يجلسـ إلى مائدة الشـراب.. يشترك التخت والكورس فـى التوشيح.. لحظات حظ وفرفشة).

عشقر - (وهو يرفع الكأس يغمغم فى شرود وكأنه يتخيل شبحاً بداخل الكأس) - لازم جيب رأس غوما.

سعادات هانم - (فى دهشة) غوما..

عشقر - أى نعم ، غوما..

(ينفجــر ضاحكاً غير عابىء بدهشة سعــادات ويعود إلى الغناء بصوته القبيــح وإلى التمايل مع النغم.. يرتفع صوت الكورس وترن الصاجات فى أيدى الراقصات).

يظلم المسرح تدريجياً..

(فــى الجبل.. نهار.. معسكــر قوات غوما.. يسمــع صوت طلقات رصاصــ من بعيد.. قاسم وغوما وجهــاً لوجه وحدهما.. غوما يذرع المكان فى حركة سريعة مضطربة ثم يتوقف لينفجر فى ثورة).

غوما - إذن فأنت التقيت بالوالى..

قاسم - (فى برود) نعم ..

غوما - نعم.. وماذا بعد ؟!

قاسم - (بنفس البرود) كان لقاء ومفاوضات.

غوما - كان لقاء ومفاوضات ؟!

قاســم - أنت لست ضد مبدأ المفاوضات على ما أعلم وقد سبق أن وقعت معاهدة مع نائب الوالى بالتنازل عن الثورة فى سبيل وظيفة مدير منطقة الجبل.

غوما ـ (**يصرخ**) أنا لم أتنازل عن الثورة ، ولم أقبل المعاهدة الا لعلمى أنها ستكون وسيلة للاستمرار فى الثورة.

قاسم ـ استمرار فى الثورة كيف ؟

غوما ـ كان شرطا فى المعاهدة أن يدخل العرب ضباطاً فى الجيش التركى مساواة بالأتراك فى الرتب والنياشين.

قاسم ـ (**ساخراً**) وهذا هو منتهى الثورة فيما يبدو.

غوما ـ لا وسيلة إلى هدم البناء إلا بالتسلل إلى داخله.

قاسم ـ وإذا لم يهدمه هؤلاء الذين تسللوا إلى داخله.. إذا أصبحوا تركاً بدلاً من أن يجعلوا الترك عرباً ؟.

غوما ـ لن يكون هذا ذنبى.

قاسم ـ من الطبيعى أن يكون هذا تفكير رجل يعمل ابنه ضابطاً فى الجيش التركى فى اسطنبول.

غوما ـ (**يصرخ**) إن ابنى ضابط فى الجيش التركى ولكن ابنى الآخر فى جيش الثوار (يصرخ) وقد قتل البارحة فى معركة الغريان.. قتل.

قاسم ـ قتل فى جبهة الثوار وابنك الآخر يحارب فى جبهة القتلة مع السفاحين.. إنى لا أفهمك.. أنت بدوى مجنون.

غوما ـ ربما كنت مجنونا.. ولكن الظروف التى نحارب فيها هى الجنون بعينه.. إننا بدو حفاة نحارب امبراطورية.. ولا

يمكـن أن ننتصر بدون الحيلـة والسياسة.. يـد تصـافح ويد
تطعن فى الظهر

قاسم ـ ما يثيرنى أنى أراك وأنت تصافح فأشعر أنك تصافح بكل شهامـة البدوى وبساطتـه وحماقته.. بلا خدعة... أنـت لم تكن تخدع أحمـد قورجى حينما وقعت المعاهدة أنت كنت تخدع نفسك يا غوما.. كان طمعك فى الوظيفة يزين لك هذه المثاليات الكاذبة.

غوما ـ ظلمت ولائى يا قاسم..

قاســـم ـ إذن فأنـا لا أفهمك.. لا أفهمـك.. أحياناً يخيـل إلىَّ أن ما تطمـع فيه هو ركن هــادىء تحت شجرة تقرض الشعـر وتتأمل القمر وأنـك تحــارب لتلتمس هذه اللحظات من السـلام.. ولهذا ترحب بهدنة أى هدنــة.. وصلـح أى صلح لأنك لست محـارباً.. ولم تكن محـارباً أبداً.. وإنمــا أنت رجـل حـالم.. ولكنـى أراك حينما يستعر القتـال فلا أصدق عينى.

غوما ـ ولا أنا.

قاســـم ـ وكأنما تصبح رجلاً آخر (فى حـيرة) ولكن إذا كنت هذا الوحش الضـارى. فلماذا تمد يدك إلى أعدائك ؟..

غوما ـ إنــى لا أختصم مع أشخـاص ، ولو كانـت طرابلس العربية يحكمهــا عربى ظالم لثرت عليه بمثل ما أثور على التركى.. إنما الظلم هــو مــا أثور عليه وليس الحـاكم.. فإذا امتدت يد بعدالة فأنا دائماً أول من يصافحها لا يهم من أى جنسية هذه اليد..

قاســـم ـــ (حائــراً) ولكــن العــالم مــا زال ينقســم إلى جنسيات وعصبيــات.. لم يأت الوقت بعـد لنتصافح بكل هذه النية الحسنة.. إنها لسذاجــة (فــى ارتياب) أو ربما خبث منتهــى الخبث من رجل وصولى يعرف كيف يغلف أغراضه بمهارة.

غوما ـ الله يعلم الحقيقة وهذا يكفينى..

قاسم ـ حسناً..

غوما ـ علام عولت ؟..

قاسم ـ سوف أطبق مذهبك..

غوما ـ مذهبى ؟!

قاسم ـ سوف أنضم إلى الجيش التركى..

غوما ـ (ينتفض) تنضم إلى الجيش التركى.. كيف ؟!

قاسم ـ سوف أكون نائباً للوالى..

غوما ـ مستحيل

قاسم ـ ولماذا مستحيل ؟.

غوما ـ هذه خيانة..

قاســـم ـ إن ابنك الضابط فــى اسطنبول ليس خائناً..وأنت لم تكن خائناً حينما قبلت وظيفة مدير منطقة الجبل فى الديوان التركى.

غوما ـ كان هذا بشروط..

قاسم ـ أنــا أيضاً سوف تكون لى نفس الشروط.. سوف أدخل إلى الامبراطوريـة وأقوضهـا من الداخل..سـوف أكون عوناً لكـم جميعاً.. سوف أعجل بالنهاية..

غوما ـ ولكنها هى قد تقوضك أنت.. قد تعجل بنهايتك.؟

قاسم ـ ولماذا لم تسأل نفسك هذا السؤال ؟

غوما ـ لأنــى أعلم أنى أقوى من الامبراطوريـة العثمانية..وأعلم أنك أضعف من أضعف جنودى بكثير.

قاسم ـ ألم أقل إنك رجل مجنون يا غوما.

غوما ـ مجنون.. نعم.. ولكنك تعلم أنى على صواب..

(صوت الرصاص يرتفع.. صوت طلقات مدافع من بعيد).

غومـــا ـ (**فى حزن**) إنهم يقتربون.. (ينظـر إلى قـاسم) لا أصدق إننا سوف نحارب تحت رايتين مختلفتين.

قاســـم ـ بل هى راية العرب واحدة.. رايــة العرب وحدهـا.. لماذا لا تثق فىّ؟

غوما ـ بل أخشى عليك.. أخشى عليك من نفسك.

قاســـم ـ ألم تقل أننــا عرب حفاة نحــارب امبراطوريــة.. وإننا لن ننتصـر إلا بـالحيلــة.. بـاليـد التى تصافـح وتطعن فى الظهـر.. سوف أكون أنا اليد التى تصافح وتطعن فى الظهر.

غوما ـ (فى صوت شـارد يكلم نفسه).. تصافح من وتطعن من ؟..
هذا هو السؤال !!

(طلقات المدافع تقترب).

غوما ـ (مازال شارداً) إنهم يقتربون..

قاسم ـ وداعاً يا غوما..

غوما ـ (فى حزن) وداعاً..

(صوت المدافع يقصف ويصم الآذان).

(يظلم المسرح تدريجياً).

(ديوان حكومة.. نهار.. غرفـة واسعة مفروشة بالطنافس.. مكتب نائب الـوالى حيث يجلس قاسـم مع اللواء التركـى.. جلود غزلان ووحوش وقرون وبنادق منقوشة بالفضة معلقة على الحائط).

اللواء التركى ـ (يتمشى فى عصبية) .. معركة أخرى خاسرة فـى وادى العجيـلات وزواره.. عشرات من الجرحـى والقتلى.. لا بد مـن عمل سريـع .. لابد مـن تجهيز حملـة إلى الجبل مـزودة بالمدافع والفرسان للقضاء على غوما.. السلطان فى الآستانة ثائر جداً.

قاسـم ـ غومـا لا يمكـن القضـاء عليـه بالمدافـع **(بعد لحظات صمـت)**هنـاكوسائـلأخـرىللقضـاءعلـىغومـا.

اللواء ـ وسائل أخرى ؟

قاسم ـ اسمح لى بدعوة الدفتردار لحضور الاجتما ع.

اللواء ـ اتفضل أفندم..

(قاسم يرن جرسا أمامه فيدخل حاجب).

قاسم ـ الدفتردار حالاً..

قاسم ـ (يلتفت إلى اللواء التركى)لا بد من إصلاحات فى الجهاز الإدارى.. لابد من نظام محكم.. لابد من ضبط وربط.

(يدخل الدفتردار).

اللـــواء التركى ـ (يرد على قاسم) هنــاك إصلاحات عظيمة تمت علـى يدنا افندم.. ترميم قلاع.. بناء أبراج.. إنشاء قصر للحكومة فى الدواخل وقصر آخر للحكومة فى أبو نجيم..

وهناك مشروع بناء حى المجيدية.

قاسم ـ (فى هدوء) أنا أقصد إصلاحات فى الجهاز الادارى.. فى الضبط والربط.. دفتردار عنده مشروع عظيم.. اتفضل عزمى بك.

نقر دار ـ أنا قدمت مشروع بإنشاء نظام تذاكر وهويات وجوازات وأرشيف خاص لإدراج المواليد والوفيات وبيانات بكل السكان .

اللـــواء التركى ـ (فــى دهشة) ده وقت حمـلات وتجهيزات أفندم.. مش وقت بيانات وهويات وإدراج مواليد ووفيات.

قاسم ـ البيانــات والهويــات معناها تسهيل تفتيش واعتقالات ومراقبــات.. ومعناها كل سكان طرابلس داخل دوسيه تحت يد شرطة والى.

دفتردار ـ وهى أيضاً مصادر دخل وضرائب غير منظورة افندم.

(**لحظة صمت وتفكير يعود اللوء التركى فينفجر**) :

اللواء ـ غوما على بُعْد ١٥ كيلو متراً من العاصمة.. حضرة والى أمر باعتقال محمد الشلابى زعيم طرابلس ونفيه واعتقالات.. اعتقالات.. ما فائدة اعتقالات ؟

قاســم ـ اعتقال زعيم خطأ كبير حضرة لواء.. أحسن طريقة لمقاومة زعيم هو منحه وسام وترقية.

اللواء التركى ـ (**يضحك فى عصبية**) وتعيينه بفرمان حاكم على طرابلس (**يضحك**) أنت تضحك أفندم.

قاســم ـ أنا لا أضحك حضرة لواء.. القضاء على غوما لا يكون بمحاربته ولكن بمنحه إنعامات ورتب ونيشانات ومنصب كبير.. أرخص طريقة للقضاء على الثوار تحويلهم إلى موظفين.

اللــواء التركى ـ أنت تضحك أفندم.. معلوم أنت تضحك.. غوما حاكم طرابلس.. غوما باش قوبجى.. غوما اذبحنا جميعاً..

قاسم ـ (**يمسك بوسادة ريش النعام التى يجلس عليها ويضعها علــى خده)** ريش النعام أفندم له تأثير على الثوار.. وصفة مجربة أفندم.

(**يضحك الكل ضحكة ذات مغزى**).

اللواء ـ لكن غوْما يرفض افندم..

قاســم ـ غوما يقبل حضرة لواء (**ضاحكا**) ليهدم الامبراطورية

العثمانية ويذبحكم جميعاً (**يضحك الثلاثة نفس الضحكة الصفراوية**).

اللواء ـ تفكير غريب حضرة قاسم (**يتدارك بعد لحظة**) لكن غوما له شروط كثيرات.

قاسم ـ جميع شروط اقبل.. امضاءات.. بصمات.. اكتب ، وقع، ابصم.. ورق كثير فى الامبراطورية العثمانية ، مفيش أزمة ورق (**يضحك**)

اللواء : (**فى حيرة**) وبعدين افندم.. مش أفهم.. غوما يأخذ إنعامات.. غوما يأخذ علاوات وترقيات.. غوما يجلس مع الحكام .. وبعدين أفندم.

قاسم ـ غوما يفقد عطف مواطنين فقراء.. تصور أفندم غوما يأخذ مرتبات ومستحقات وجرايات يدفعها الشعب من قوته.. موسم جفاف وكساد وقحط ، والعربى لا يملك بارة يدفعها وجيب غوما منتفخ بمرتبات حضرة والى.. غوما يفقد عطف الشعب.

اللواء ـ (**فى تفكير**) مفهوم.. بعدين اعتقل غوما.. مفيش حد يسأل عن غوما.. فى داهية غوما...

قاسم ـ (**فى سخرية**) زى كل موظفين حضرة لواء.. زى حضرتكم.. زى حضرة والى.. فرمان سلطانى شلوت للوالى عشقر، راح

عشقــر .. جــه محمد أمين بـاشـا ، تعظيـم سلام لمحمد أمين
بـاشـا .

اللواء ـ وبعدين شلوت (**يضحك**).

قاسم ـ زى كل موظفـين حضـرة لـواء.. طـرد تحقيـق.. واعتقـال..
ونفـى ، دون إبداء أسبـاب ، لا أحد يـهتم بشئون موظفين.. لا
أحـد يدافع عن حضرات موظفين نـهابين خطـافين .. لا أحد
يحب موظفين.. لا أحد يحب حكومة.

اللواء ـ أنت على حق قـاسم.. خطة غريبـة.. عفـارم (**يقف متأهباً للانصراف**) نبلـغ سيـادة محمد أمين بـاشـا ونقوم بإجراءات.
(يقوم معه الدفتر دار)

اللواء التركـــى ـ (الدفـتر دار) ونقـوم بـإجـراءات هـويـات
وتذاكر مرور أيضاً (**يـخرج الاثنـان.. قاسم وحده يقوم من على مكتبه.. يقف أمام جلد وحش معلق على الحـائط**).

قاسم ـ نشرب من نفس الكأس يـا غومـا.. لا أحد أفضل من الآخر..
إنمـا بـالامتحـان تختـبر معـادن الرجـال ، ألست أقوى
من الامبراطورية العثمـانية .. أقوى لأنك غومـا ؟ أم لأن
الشعب معك؟ هذا هو السؤال ؟

(يظلم المسرح تدريجياً)..

(زقــاق فى طرابلس.. ليل.. حانــوت مضىء به بندق ولوز وجوز وزبيب وتين ولفافات قمر الدين صف من فوانيس رمضان على إفريز الــدكان.. العجوز يوســف قرهماللى جالس علــى العتبة ومعروف بجــواره وصاحب الــدكان مشغول بصف بضاعتــه.. أطفال يدخلون المسرح بفوانيسهم مهللين منشدين) :

وحوى يا وحوى اياحه.

وكمــان وحـــوى اياحه.

يا الله يا رمضان اياحه.

البدر أهــو بــان اياحــه.

(صــوت دورية تركية.. يدخل الجنود الــترك فيتفرق الأطفال وهم يلوحـــون بفوانيسهــم وراء الجنــود ويتصايحون..هيـــه.. بعد أن تختفـــى الدورية يقــوم معروف يتنطط ويأخــذ فانوساً يلوح به وينشد للأطفال وهم يردون عليه.

ولولا غوما ما جينا.. يا الله الغفار.

ولا تعبنا رجلينا.. يحيا الثوار.

ويتنطط ويخرج لسانه فى الناحية التى اختفت فيها الدورية).

زعق السلطان.. اياحه

أبو طقم سنان.. اياحه

وبعت فرمان.. إياحه

(بصوت منخفض) يسقط سلطان .. إياحه .. إياحه

(يتنطط) : حلو يا حلو .

رمضان كريم يا حلو

حبايبنا جم وطلو

(يميل على العجوز يوسف القرهماللى فيجده نائماً)

.. ايه انت نمت يا قره ماللى (يتنطط).

قره ماللى نام يا حلو

قرايبو سابوه وفلو

يوسف قره ماللى ـ عربى مجذوب..

معروف ـ مجذوب مجذوب بس أعيش..

يوسف قره ماللى ـ ده بدال ما تشيل سلاح وتروح تحارب فى ميدان.

معروف ـ أنا بحارب باللسان.. التخصص بتاعى.

يوسف قره ماللى ـ (يضحك) احنا بنسمع عن لواء مشاة ، لواء فرسان ، لواء مدفعية ، عمرنا ما سمعنا عن لواء لسان..

معروف ـ ده جهاز الإعلام يا قره ماللى ، حاجه ما تعرفهاش فى جيشكم الخيبان.

يوســف قره ماللى ـ (ساخرا) جميع حروب غوما أصبحت الآن حـروب إعـلام.. غوما دخل فـى سلك حـكام وأصبح يصـدر بيانات.. بيانات.. بيانات ، غوما باش قوبجى الديوان.. غوما يوك.

صاحـــب الدكان ـ (يتكلـم لأول مـرة) غوما عـرف أن الله حق... وأن لا جـدوى مـن التناطح مع جبـل مثل الخلافـة العثمانية ولا من المصلحـة أن ينشـق الاسـلام على نفسه بـدلاً من أن نحـارب بعضنا نتحـد يا نـاس فيها إيه ؟. ومــاذا فعل لنا الأتـراك ؟ إلا كل خير.. بنوا المساجـد والمستشفيات والمدارس ونظموا الأوقاف والخيرات وأسسوا المتصرفيات .

يوسف قــره ماللى ـ ووزعـوا الرشاوى على لسانـات خائنات أمثالك.. أنا أعرف الصرة التى تدور الآن على الدكاكين فى السر.

صاحب الدكان ـ أنا أقول نصيحة وأجرى على الله.

يوسف قره ماللى ـ أجرك على عثمان آغا.. خرسيس خنيس.. ما رأيك معروف قول حقيقات.

معروف ـ أنا مع غوما مهما عمل .

يوسف قره ماللى ـ ممنوع مجاملات..

معروف ـ غوما عنده أسباب لا نعرفها.. غوما عنده خطة... أنا أثق فيه ثقة عمياء.

يوسف قره مااللى ـ لكـنَ الشعب يقول كلاماً آخر.. نحن نسمع فى الشوارع كلاماً آخر.

معروف ـ (وقد أسقط فى يده) الله أعلم.

يوســف قره مااللى ـ جيش عربى بقى جيش ، عشانا عليك يا رب.. الله يساعد عربى غلبان ، الفاتحة أن ربنا يطلع الأتراك.

بسم الله الرحمن الرحيم (يتمتم بشفتيه).

معروف ـ (يثـور) قره مااللى شحـات.. جندى عربى أشجع جندى فى العـالم.. جيش عربـى حارب مع القـره مااللى وغلب العـالم.. صانع عربـى بنى السفن للقره مااللـى ..أسطول قـره مااللـى صناعة عربيـة فـى ترسانـة طرابلس هزم أساطيـل السويـد والأمريكان.. عربـى لا يقهر قره مااللى شحات.. يوك.. بجم.

يوسف قره مااللى ـ دى أمجـاد زمـان.. ده تاريـخ ، تاريخ مضى وانقضى.. احنا بندور على دلوقت.

معروف ـ (فى ثقة) غوما عنده خطة.. بقولك غوما عنده خطة.

صاحب الدكان ـ تمام غوما عنده خطة.

يوسف قره مااللى ـ (يسعل ويبصق ويلهث ثم يلتقط أنفاسه قائلاً) نشوف الخطة ، الزمن طويل.. طويل.. مستعجلين على إيش ؟.

صـــوت *المغنى* البـــدوى من بعيد : لى زمان يا خـــال وانا باطوى

البـــداوى طى الجلب عطشان وعطش الجلب ماله رى لا تبك على اللى راح يـــا خال دور علـــى اللى جاى لا تنوح علـــى اللى مات يا خال اشفــق على اللى حى ده الكل فـــان ولا يبقى سواه الحى آه.. ندمان.. يا جلبى.

(يظلم المسرح تدريجيا)..

(المشهد سجـــن ليل.. نسمع أزيز مفصـــلات حديد.. نرى البوابة الحديديـــة تفتـــح وثلاثة مـــن الحراس الشـــداد يدفعـــون بغوما إلى السجن)

غوما ـ (يصيح) كلاب.. أنذال.. هذه خيانة.. سوف تشنقون حينما يصل الخبر إلى الوالى.

الحراس ـ (فى وقت واحد) والى مين ؟.

غوما ـ سوف تعدمون حينما يعلم السلطان.

الحراس ـ (فى وقت واحد) والى مين ؟.

رئيس الحراس ـ دى أوامر سلطان عربى مغفل ، دى أوامر والى .

غوما ـ مستحيل هـــذه خدعة.. هناك معاهـــدة بينى وبين الوالى.. هناك مرسوم سلطانى.

رئيســـ الحراس ـ حضـــرة سلطان كل يـــوم يكتب مرســـوم ويقطع مرسوم ، عربى حمـــار.

غوما ـ سوف تثور القبـــائل.

رئيس الحراس ـ تبقى تثور حضرات قبائل.

غوما ـ لقد أخطأ السلطان التقدير.. إن لى أعواناً فى كل مكان.

رئيســ الحراســ ـ فين حضـرات أعـوان.. مفيش حد يســأل عن حضرتكم.

غوما ـ هذا ظلم.. ظلم.. ظلم.

رئيســ الحراس ـ دلوقت عرفت أن العــالم فيه ظلم.. عرفت متأخر حضـرة عربـى مغفـل ، العالم مـن زمان فيــه ظلم ، وطول عمـر الدنيا حايكون فيه ظلم.

غوما ـ مستحيل..لابد من الثورة.. لابد من التغيير.

رئيس الحراس ـ ثور حضرة عربى مغفل غير (ساخراً) ممكن تغير هدومك بهدوم السجن إذا كان عاوز.

غوما ـ كلاب.. أنذال.. أوغاد.

الحراس ـ (فى وقت واحد) تانى.

(صوت صلصلة سلاسل وصيحات وأقدام).

رئيس الحرس ـ فيه ضيوف جايين لحضرتكم.

(يظهر ثلاثـــة من هيئة قيادة غوما) الثلاثـــة الذين رأينـاهم فى بدايـــة المسرحية) وهم مقيـــدون بـالسلاسل.. يدفعهـــم الحراس إلى الزنزانة مع غوما).

رئيس الحراس ـ عشان يبقى مؤتمر..

أصوات _ هذه مؤامرة دنيئة.

ـ هذه خدعة.

ـ خيانة قذرة..

ـ أنذال كلاب.

(**الحراس يلقون بهم إلى الداخل ثم يصفقون الباب**).

رئيســس الحرس ـ (فى سخرية) بكرة فى الفجر.. كله مشحون فى الباخرة على اسطنبول ويعدين للمنفى فى طربزين على البحر الأسود بعيد.. بعيد فى آخر المانيا.. كل واحد تمبل يأكل ويشرب وينام ويفطر مهلبية على حساب التكية التركية ويغور من وش الأمة العربية. عرب مغفلين عاوزين يعملوا انقلاب على سلطان خليفة آل عثمان أمير مؤمنين.. حامى حمى الاسلام.. عرب يوك .. (يبصق فى احتقار).

(**ينصرف الحراس... ينظر السجناء إلى بعضهم البعض وإلى غوما**).

أصوات ـ كلنا فى السجن ماعدا قاسم..

ـ قاسم ؟.

غوما _ قاسم الخائن الذى قادنا إلى هذا المصير.

أحدهـــم ـــ (إلى غوما) إنـه لم يقدك من يـدك إلى وظيفـة الباش قورجى.

غومـــا ـ (فى عنف) وهو لم يرغمك أيضاً على قبول مدير فزان (إلى الثانـى) ولا هـو أرغمك لتكون مدير بنى غازى (إلى الثالث) ولا

هـو جعلك رغم أنفك مديـراً للجبل.. أنتم بأنفسكم سـرتم بـأرجلكم إلى الـهلاك.

أحدهم ـ نحن مددنا أيدينا حينما مددت انت يدك..

آخر ـ تعاونّا حينما تعاونت..

آخر ـ هـادنّا حينما هـادنت..

ـ اتخذناك قدوة..

ـ قدتنا إلى حتفنا..

(**يكادون يشتبكون بالأيدى**).

أحدهم ـ إننا لن نتعارك ونحن فى زنزانة واحدة.

آخر ـ كان يستطيع أن يجنبنا هذه النهاية.

غوما ـ كان فى حسابى أن أقلب الجيش ولكن الحوادث سبقتنى..

آخر ـ إنه قاسم مرة أخرى.. إنها يد قاسم.

آخر ـ هذا مصير مدبر..

ـ لماذا قبض علينا جميعاً ولم يقبض عليه ؟.

ـ لا أفهم.. ولكن قاسـم كان صريحاً واضحاً فى المحاولة الأولى للمفاوضة مع أحمد قورجى وقد أطلق على قورجى الرصاص ورفض المفاوضة.

غوما ـ لأن المفاوضة لم تكن صفقة رابحة بالنسبة له.. لم يكن له

فيها منصب ولا إدارة.

ـ أهـى إذن صفقات ومناصب ؟

غوما ـ بالنسبة لقاسم هـى كذلك..

ـ وبالنسبة لك ؟.

غوما ـ بالنسبة لى كانت فرصة لعمل انقلاب.. أنت تعرف هذا جيداً.

ـــ لم أعد أعرف شيئاً ولا أحد يعرف شيئـاً.. ولم ير الناس انقلاباً ليصدقـوا.. والنتيجـة أننـا نقـف بالسلاسل فـى أيدينا ملوثـين أمام العيون.. وليس الناس ضاربى رمل ليعرفوا ما خفى من نياتك.

ـــ الله يعرف وهذا يكفينى..

ـ أهذه هى النهاية ؟.

غوما ـ (يضـرب بيديه القضبان ويصرخ).. إنهـا ليست النهاية ..لم ينته الزمن بعد.. لم ينته التاريخ بعد.. لم أمت ليحكم على الناس.. كل ذنبى أنى أحببت وطنى لدرجة البلاهة.. وإنى لعائد إلى وطنى بعد سجـن طال أو قصـر ليكون لى حساب معك يا قاسـم ومع كل العيون التى ترمقنى فى ازدراء من خلف الجدران..

ستـــار

الفصل الثالث

(ديوان حكومة.. نفس الغرفة الواسعة المفروشة بالطنافس التى رأيناها فى الفصل الثانى ، نفس الجدران المحلاة بقرون الوحوش والبنادق المنقوشة بالفضة والسيوف).

(قاسـم يدور حول نفسه كانه حبيس فى زنزانة.. يقف أمام أحد السيـوف المعلقة على الحائط ، ينزلـه من على الحائط.. ينزعه من غمـده.. يلوح به كانه يبارز شبحا.. يقف شـاردا. يتجه إلى خريطة على الحائط).

قاسم ـ (يشير بظبة السيف إلى مواقع على الخريطة محدثاً نفسه) غوما فر من سجن طربزين.. غوما فى بلاد اليونان.. غوما فى ايطاليا.. غوما عبر البحر.. غوما فى تونس ، غوما على حـدود جنزور (فى شرود مطمئناً نفسه) بعد اثنتى عشرة سنـة مـن النفى والسجـن.. لاشك أنه تغير.. لـن يعود ذلك المقاتل العنيد ، اثنتا عشرة سنة يحدث فيها الكثير.. تشيب الرؤوس.. وتنحنى الظهور.. وتصبح الوجوش بلا أسنان.

(نقـرات على بـاب الغرفة.. يدخـل الدفتردار وفى يـده أضابير

وملفات.. يتهالك على كرسى).

الدفـــتر دار ـ الحالة سيئة.. الأهالى يقاوسون عملية الاحصاء وقد ضربوا الموظفين وسرقوا طرابيشهم.

قاسم ـ معذورون.. يظنـون أن الاحصاء سيكون مقدمة لمزيد من الضرائب أو لتجنيد إجبارى.

الدفتردار ـ وأسوأ مـن هذا أنهم يهاجرون مـن طرابلس خوفاً من الوباء.. يتسللون تحت جنح الليل بالألوف.

قاسم ـ أما زال الوباء مستشرياً ؟

الدفتردار ـ عشرون وفاة منذ البارحة..

قاسم ـ حظـه سيىء ذلك الـوالى الجديد نورى باشـا.. أغلب الظن أنـه سـوف يلحق بسلفه حاجـى أحمد عزت فـى الأستانة وينضـم إلى زمـرة المخلوعين..راغـب باشـا وأمين باشا وعشقر والجشمه للى وطاهر ورئيف ونجيب.. ما أسرع ما تتغـير الأمور هنـا (بنـبرة ذات معنى) أن اثنتى عشرة سنة يمكن أن يحدث فيها الكثير أليس كذلك ؟

الدفـــتردار ـ نعم سيدى.. وهذا أسوأ ما فى الأمر.. لا شىء يدوم فى هذا البلد أبداً.. ما يكاد شىء يدون حتى يمحى.

قاســـم ـ (**يفكر فى شىء آخــر**) لا.. لست أقصد البلـد.. بل أقصد الإنسان نفسه أيضاً يتغير.. تغيره السنين ، أليس كذلك ؟

الدفتر دار ـ (فى شرود) نعم سيدى.. هذا أمر طبيعى.

قاســم ـ أترانى تغـيرت كثـيراً فى هـذه الاثنتى عشرة سنة من الوظيفة ؟

الدفتر دار ـ امتلأت قليلاً ياسيدى..

قاسم ـ وأصبحت حركتى بطيئة.. وأفكارى بطيئة.. وهذه مسائل تغـير كثيراً مـن موازين الأمـور أمام العـين فأنا الآن أكـثر تساهلاً.. وأكـثر تغاضياً عـن الهفـوات.. وأكثر ميـلاً إلى المصالحـة والمهادنة وطلب الأمان.. وأنت أيضاً تغيرت كثيراً فى هذه السنوات .

الدفتردار ـ (فى تفكير) نعم..أعتقد أنى تخلصت من الرطانة التركية وأصبحت أتقن لهجتكم العربية من طول المخالطة والمعاملة.

قاسم ـ (مازال مشغولاً بشىء آخر) لابل أقصد تغيرت فى الطباع والاخلاق.

الدفـــتر دار ـ (حائراً) فى الطباع والأخـلاق.. لا أظن أنى تغيرت كثيراً.

قاسم ـ هل أنت بمثل الحماس الذى بدأت به ؟.

الدفتر دار : لا أدرى.

قاسم : أعتقد أنك فقدت الكثير مـن حماسك ، وأصبحت مع الأيام أكثر فتوراً وكسلاً وإهمالاً .. وأكثر قبولاً لأنصاف الحلول.

الدفتردار ـ هذا يحدث لكل الموظفين عادة.

قاسم ـ (يطمئن نفسه) ليس الموظفين فقط بل كل الناس يتغيرون مع العمر.. القلوب تفتر والنفوس تشيخ مثل ما تشيخ الأبدان.

الدفتر دار ـ ربما كنت على صواب.

قاسم ـ يجب أن أكون على صواب وإلا فإننا سوف نهلك جميعاً.

الدفتردار ـ لا أفهم..

اللواء التركى ـ (يقتحم الغرفة هاتفاً فى انزعاج) هناك معارك فى جنزور قاسم بك.. سنجق والى فى مأزق ، عشرات من القتلى والجرحى.. غوما ظهر من جديد.. غوما بنفسه يقود القوات الثائرة هناك.

قاسم ـ (**ينتفض**) غوما.. غير معقول ؟ !!

ضابط تركى ـ (**يدخل الغرفة منفعلاً**) مدافع كثيرات حضرة لواء تضرب على اتجاه المتصرفية..

(**صوت مدافع من بعيد**)..

قاسم ـ وهنا أيضاً.

اللواء التركى ـ غوما فى كل مكان.

الضابط التركى ـ ثوار فى فزان خلعوا المدير (صوت المدافع) وفى مصراته البدو سرقوا مخازن السلاح.

اللواء التركى ـ غوما فى كل مكان.

(**صوت المدافع تضرب عن قرب أكثر**).

قاسم ـ بعد اثنتى عشرة سنة عاد ليحارب من جديد.. لا أصدق

(صـوت المدافـع تضرب عن قرب أكثر) نعم يجـب أن أصدق (صوت مدافع) لابد أن أصدق.

اللواء التركى ـ حضـرة بكباشى.. اجمع كل قوات واضرب حصار على المنطقة.. لابد جيب رأس غوما.. أريد غوما حى أو ميت.

(يخرج الضابط مسرعاً).

اللواء ـ هذه المرة لابد مـن القضاء على غوما.. كانت غلطة نفى غوما.. كان يجب قتل غوما وتعليق رأسه على باب قلعة.

قاسم ـ كان هناك الخوف دائماً من ثورة القبائل.

اللواء ـ قبائل بدون غوما لا تستطيع حركة.

قاسم ـ وهذه المناوشات طوال الاثنتى عشرة سنة.. إنها لم تدعنا فى سلام أبداً.

اللواء ـ على أمل عودة غوما.. غوما هو الروح.. بدون روح جسد عربى يموت.

قاســم ـ ومن يدريك أن غوما آخر لن يُبعث بعد موته وربما مائة غوما.. وربما ألف غوما.

اللــواء ـ حضـرة قاسم لا يوجد فـى تاريخ عـرب إلا غوما واحد دوخ جيوش تركية.. عشرين سنة وخلع سبعة ولاة.. غوما لا يتكرر.. يوجد شيطان واحد كبير.

(صوت ضربات مدافع هائلة من الجانبين).

اللواء ـ هناك هجوم من جانبنا.. مدافع متصرفية ترد..عفارم.

(صوت مدفع هائل يصم الآذان).

اللواء - عفارم..

(المعارك على البـــاب.. الصخب وقرقعة السلاح تسمع واضحة..

يدخل أحد الضباط (جريح وذراعه مضمدة) هناك التحامات بالسلاح الأبيض على أبواب متصرفية..).

وأخبار سارة حضرة لواء..

غوما وقع أسير حضرة لواء..

قاسم ـ غوما أسير ؟. أخبار عظيمة حضرة ضابط .

اللواء ـ ترقيات حضرة ضابط..

الضابط ـ أورطة ١٧ تحت قيادتنا.. اضرب حصار.. امسك غوما.

اللواء ـ هو فين ؟

الضابط ـ قادم حالاً حضرة لواء..

(يدفـــع الباب فينفتح بشدة.. ويدخل زحام من الجنود.. كتلة من الجنود تحيط شيئاً فى الوسط لا يظهر).

أصوات الجنود ـ غوما..

ـ غوما مجرم ..

ـ غوما حيوان ..

- عربى جبان ..

- قدم تحيات إلى حضرة لواء..

(ينفتـــح الزحـام لنرى الشىء الذى فى الوسط فإذا به (معروف) عينه وارمة من الضرب).

اللواء - (مصعوقاً) دى غوما تركى بجم ؟

(قاسم يبتسم ابتسامة صفراء مذعورة).

اللواء - دى معروف بن عون بائع روبابيكيا.

الجنود - هو قال انه غوما.

- كل واحد يقول غوما يبقى غوما ، تركى بجم.

الجنود - (**يضربون معروف**) **عربى كذاب.**

- عربى كلــب..

- عربى حيوان..

- عربى ضلالى..

معـــروف - (يصـرخ) آى.. مفيش فى قلبكو رحمة يــا كفرة.. ألف على واحد.

(المدافـــع تضرب بقوة أشـــد.. تهتز جدران الغرفـــة وتقع رؤوس الوحوشـــ وتقع السيوف من تعاليقها.. الجنـــود يرفعون أيديهم عن معروف وينظرون إلى بعضهم فى ذعر).

(يظلم المسرح تدريجيا)..

(المشهد ليل.. فى مركز قيادة غوما فى الجبل.. الغنائم متراصة بكثرة.. جوالات مليئة بالريالات الفضية التركية.. أكوام من الملفات والدفاتر.. مدافع وبنادق وذخيرة. قاسم أسير فى يديه السلاسل).

(معروف يغترف بيديه الريالات الفضية ويقذفها ويعبىء جيوبه ثم يعود فيفرغها ثم يرقص حولها).

معـــروف ـ (يأخذ كبشـه من الريالات فى حفانـة ويقبّلها) اللهم صونك نعمة واحفظك من الزوال.. عشنا وشفنا الفضة فى شوالات.

(يدخل غوما ومعه هيئة قيادته وبعض الجند العرب).

غوما ـ (مشيراً إلى الجوالات) هـذه النقود تعاد فوراً إلى الخزينة فى طرابلس.

ضابط القيادة ـ غير معقول هذه غنيمة وهى حق مشروع لنا.

غومـــا ـ لسنا قطاع طرق ولا لصوص نحـن نحارب للحرية وليس للسرقة.

ضابط آخر ـ ولكننا فى حاجة إلى أموال..

غوما ـ لقد حاربنا عشرين سنة بدون أن نسرق أموالا.

الضابط ـ إنها أموال تركية..

غوما ـ بل هى أموال مواطنين عرب مثلكم..

معروف ـ طيب املأ جيوبى بس..

غوما ـ كف يدك يا معروف..

قاسم ـ (هامساً لنفسه فى جانب) إنه ما زال ذلك العربى الأحمق الذى عرفته.. يحارب بقلب الشاعر وسذاجة البدوى.. هذه بشائر النهاية.

غوما ـ وهذه الأكوام من الملفات والدفاتر لا حاجة لنا بها.. وهى تحوى مصالح الكثير من المواطنين تعاد هى الأخرى إلى الديوان فى طرابلس فوراً.. أنا أقول فوراً.

(الجنود يحزمون جوالات النقود ويحملون أكوام الملفات ويخرجون بأحمالهم مسرعين)..

ضابط القيادة ـ هذه شهامة لا أفهمها من الجيش من قطّاع الطرق.. وماذا ننتظر من جزاء.

ضابط آخر ـ إنه لن يكون إلا جزاء نكراً على عادتهم .

غوما ـ أنا لا أنتظر جزاء.. إن ما نفعله.. نفعله لنعطى الثورة شرعيتها أمام العالم.

ضابط آخر ـ لا أحد يهتم بالشرعية وعدم الشرعية فى عالم من القتلة والسفاحين.

غوما ـ ولكننا شرفاء ونحن نقول إننا شرفاء.

ضابط ـ لا أحد سوف يهتم بأقوالنا.

غوما ـ ولكن هذا لن يغير الحقيقـة.. إننا كنا دائماً شرفاء.. وأننا ضربنا المثل.

الضابط ـ أنا لا أفهمك.

غومـــا ـ (فى أسى) تستطيع أن تحــارب مع الجانب الذى تفهمه.. أنا لن أفرض عليك قيادتى.

الضابـــط ـ مهما اختلفنا فإنــى عاجز عن تركك وإنــى لأزداد بك إعجاباً رغم كل شىء.

غوما ـ (ناظراً إلى قاسم فى قيوده) فكوا قيد هذا الأسير ودعونا وحدنا بعض الوقت.

يفكون قيود قاسم ثم يخرجون.

غومـــا ـ ها نحن أخيراً وجهاً لوجه مرة أخرى (يفحصه بنظراته) لقد تغيرت كثيراً يـا قاسم أصبح لـك كرش مثل الأتـراك.. وأصبحت بليد النظـرات مثـل جبـاة الضرائـب.. صفراوى البشـرة ممعـوداً من كثرة الحلوى الدسمة.. حسناً.. لا شك عندك الكثير لتقوله لى اليوم.

قاسم ـ أعترف بأنى ما زلت أشعر بالحيرة. وبعد اثنتى عشرة سنة ما زلت لا أفهمك.

لا أدرى لمــاذا تعيد المال إلى خزينــة الوالى ؟.. أهو استعطاف ذكى وبرهـــان مقنع على حسن النوايا لتفـوز بعفو عاجل وفرمان سلطانى بالولايــة على البلاد ؟. أم هى نزوة الشهامة الحمقاء والشرف البدوى

الساذج الذى يلازمك ؟.

غوما ـ وماذا ترى ؟.

قاسم ـ اغفر لى شكى.. ولكنى أفكر دائماً بطريقة بشرية جداً.. ولا أراك الا انتهازياً رفيع الأسلوب بعيد الغايات.

غوما ـ (يضحك) إنك لم تتغير كثيرا فى تفكيرك.

قاسم ـ لا أعتقد أن الناس يختلفون أمام إغراء السلطة.. كل الفرق أن بعضهم يمكن شراؤه بكيس ذهب واحد وبعضهم يحتاج شراؤه إلى ألف كيس والبعض يشترى بخزينة السلطان كلها لأنه يريد أن يكون السلطان نفسه.. كلنا وصوليون وإنما تختلف العتبة التى تقف عندها أطماعنا..

غوما ـ رأى مريح على أى حال.

قاسم ـ نعم يعفينى على الأقل من هذا التقديس الزائد الذى يشعر به جنودك نحوك. فأنت أمامى لص كبير.. أنا وقفت أطماعى عند نائب الوالى.. وأنت تريد أن تكون الوالى نفسه..

غوما ـ والمبادىء يا قاسم ؟.

قاسم ـ نسكت عنها نحن الاثنان عندما نصل إلى أغراضنا وننشغل بما فى أيدينا من حلوى تركية دسمة..

غوما ـ لا أعرف بماذا أرد عليك.. فالقصة لم تنته بعد.

قاسم ـ إذن لندع التاريخ يرد بنفسه..

(**ضابط عربى يقتحم الغرفة هاتفا فى قلق**).

ـ جيش تركى من ثلاثين ألـف مقاتل يزحف مـن طرابلس مزود بـالأسلحـة الثقيلة والذخيرة والمؤن والعربات.. سفن كثيرة فى الميناء تنـزل العتاد والإمداد.. جناح جيشنا فـى الجبل مطوق والقوة التركية التى تحاصره تشترط الإفراج عن الأسرى وعن قاسم لفك الحصار..

(**لحظة صمت**)..

الضابـــط ـ أرى أنه لا بد من فك الحصار لإنقـاذ الجيش المحاصر والعودة به سليماً إلى الحدود قبل أن يصل الجيش التركى..

غوما ـ لا يبدو أننا نملك اختياراً فى الأمر.. معك حق..

الضابـــط ـ ربما اضطرتنا الظـروف إلى العـودة إلى حدود تونس ذاتها..

غومـــا ـ هذا لا يهـم.. يجب أن نسبق الوقت أولاً قبـل أن يسبقنا .. أعيدوا الأسرى الترك إلى السنجق التركى..

الضابط ـ وقاسم ؟

غوما ـ (بعد لحظة تفكير) قاسم أصبح ضابطاً تركياً.. حتى عقله أصبح عقلاً تركياً.. لم يعد قاسم منا.. أعيدوه إلى مواطنيه الأتراك..

الضابط ـ (فى ثورة) بل نقتله.. هو خائن..

غومـــا ـ لا أرى ما يدعو لذلك.. ألا ترى أنه مـات من سنوات (يشير إلى قاسم المصفر كالموت).. وأنه قتل نفسه.. وأعفانا من قتله ثانية..

(يظلم المسرح تدريجياً)..

المشهد الآن ليل فى تونس..

مضارب خيام غوما وأتباعه..

نصف المسرح صحارى والنصف الآخر خيمة غوما..

جمـع مـن الجنـود والفرسان العـرب من ضبـاط القيـادة واقفون بالصحراء تحت ضوء الفوانيس..

أحد الضباط ـ (يرسم على الرمل دوائر بطرف بندقيته فى ملل) طالت بنـا الإقامة فـى هذه الغربة الموحشـة.. ولا البلاد بلادنـا ولا الأرض أرضنا..

ضابــط آخر ـ ليس أمامنا اختيار.. لـو أننا فكرنا فى العودة إلى بلادنا لتلقفنا الجيش العثمانى على الحدود..

ضابــط آخر ـ وإلى متـى نعتمـد على كـرم ضيافة بـاى تونس.. والوشـاة من الترك يملؤون قلبه بالشك والريبة ويوسوسون له بالشر.. ويقولـون لـه كيف تنام آمنـاً وأنت تأوى فى بلـدك الألوف من قطاع الطـرق وعلـى رأسهـم رجل لا هـم له إلا هـدم العروش وخلـع الولاة.. شيطان لا يُؤمن له جانب..

جندى آخر ـ إننا نائمون على برميل من البارود يوشك أن ينفجر..

جندى آخر ـ لو أننا ثبتنا وقاتلنا لآخر رجل لكان أفضل لنا من حياة التشرد هذه..

ضابــط ـ كان من المستحيل أن نستمر فى قتال جيش من ثلاثين

ألف مقاتل ونحن لا نبلغ ثلاثة آلاف.. كانت المواجهة انتحاراً..

ضابــط آخر ـ لم يكن هناك بد من هذا الانسحـابِ المنظم واللجوء إلى تونس..

ضابط ـ ومع ذلك فلا اطمئنان لنا هنا أبداً ولا استقرار وجواسيس الوالي رائحة غادية بالرسائل إلى الباى وبالتحريض تلو التحريض..

ضابــط آخر ـــ والمـيرلاى بورشيـد القائـد التونسى رجـل شديد المراس وعسكره لا يبرحون المنطقة.. إنى أشم الخطر تحت هذه الرمال الهادئة..

جندى ـ أرأيت ما كان من أمر المنادى الذى راح يتلو بالأمس فى كل محفل وكل سوق على جند الميرلاى بورشيد نداء الباى.

الضابط ـ نعم سمعت وبودى أن أعرف ماذا كان بهذا النداء..

جندى ـ سمعنا أنه استنفار للجنود وحث على الاستعداد..

الضابط ـ استعداد لماذا ؟.

الجندى ـ لا أعرف.. لقد ذهب معروف يستطلع منذ البارحة (يتلفت حوله) ها هو.. لعله عاد بخير..

(نرى غوما يخرج من خيمته فى نفس اللحظة متجهاً إلى الجنود.. يلتقى غوما بمعروف والجنود.. معروف يحمل مخطوطا)..

معروف ـــ (إلى غوما) سمعت فـى السوق أن رسـولاً من الباى قـادم إليك..

غوما ـ يحل بنا مكرماً..

ضابط ـ (ـ يأخذ المخطوط من يد معروف). هل هذا ما كان يتلوه المنادى فى الأسواق أمس ؟.

معروف ـ نعم..

الضابط ـ (يفض المخطوط ويقـرأ بسرعة وانفعال وفضول على ضـوء الفـانوس) من عبـد الله المتوكل عليه المفوض جميع الأمور إليه المشير محمد الباى إلى أهل الغيرة من الضباط والعساكر أما بعد فإن الله قرن النجاح والظفر بطاعة المأمور للأمير فى الشاق واليسير والقليـل والكثير.. قـال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُـوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الْأَمْـرِ مِنْكُـمْ (٥٩)﴾ (النسـاء).. وهذا أميركـم بورشيد حسبه أن يأمركم بما يرى من عمل وحسبكم المسارعة بالامتثال فى أى جهة وعلى أى حال ، واعلموا أنه يباشركم بيدى ويأمركم بلسانى وإنكـم بقـوة الله مظهـر قوتى وصولتـى اقتاد بكم العصـاة وأذل بكم العتاة والحمد لله الذى ما خاب طائعه ولا ضاعت ودائعه..

(كتـب فى العشرين من ذى الحجـة سنة ثلاث وسبعين ومايتين وألف).

غوما ـ نداء غريب..

ضابط آخر ـ إنه استنفار واضح للجنود للتحرك إلى أي جهة وأى حـال ، والامتثال بما يرى قائدهم من أعمـال لاقتياد العصاة وإذلال العتاة..

ضابط آخر ـ ولم يقل لنا من هم العصاة ولا من هم العتاة..

ضابـــط آخر ـ إنــه لم يتهم أحداً ولكن الاتهـام يحلق على رؤوسنا جميعاً..

غوما ـــ لا أحسبــه يخــون الضيافة.. هـذا أمـر ليس فــى طبيعة العرب..

ضابط آخر ـ أعتقد أن المندوب الذى سوف يأتيك من البـاى سوف يجلو لنا هذه الشكوك..

(معروف يتنهد..)..

غوما ـ مالك مهموم يا معروف..

معـــروف ـ كانت فى يدى شوالات من الريالات الفضة السلطانى ، صبحت قاعد أقول آه يانى طيب كنت سيب لى شوال أصلح بيه الحال.. يعنى شوال الفلوس مش أحسن من ذل النفوس اللى احنا فيه ده..

غوما ـ ذل النفوس فى الجرى وراء المال... الكرامة أن تستغنى لا أن تكون غنياً يا معروف.. أنت لم تجرب..

معـــروف ـ جربـت والله ترقيـع الكســاوى والشحاتــة ع القهاوى وشبعت من البلاوى..

(ضحك)..

غومـــا ـ كلما زاد ما تلقى مـن عذاب فى هذه الدنيــا فهذه بشارة بقرب الفرج وبأن الله سيأخذ باليد..

معـــروف ـ (فى خـوف) الله لما بياخـد باليد مــا بيسيبهاش يا مولانا.. بياخدها على طول فوق.

غوما ـ ونعم الرحلة إلى جنة الشهداء..

معـــروف ـ (فى ذعـر) جنة الشهـداء ؟!! الله يطمنـك.. لا يا سيدى خلينـــى فى جهنم الحرامية وهـات لى شوالى أحسن (الضابط والجنود يضحكون ويدغدغون معروف فى جنبه)

جـو من المرح يغرق جو الكآبة القلق. يقطع الضحك صوت سنابك حصـــان سريع. ثم يدخل فارس تونسى. حينما يصل إلى غوما يترجل عن حصانه ويتقدم فى احترام.

الفارس التونسى ـ (لغوما) سيدى... مولاى الباى يقرئك السلام ويحملنى إليك رجاء.. هل يمكن أن نتحدث على انفراد بعض الوقت ؟.

غومـــا ـ لا أسـرار بينى وبين هيئـــة قيادتى... فلنمضِ كلنا إلى الخيمــة.. ولنتحـدث فيما جئـت به.. يأخـذ الفارس التونســى من يده ويمضى إلى الخيمة ومن خلفه ضباط قيادته..

تنطفـــىء الأنـــوار فـــى الصحراء فـــى الخـــارج ولا تبقـــى الا الخيمة مضيئة.

يتخـذ الـكل أماكنهم علــى الحشايا المتراصة حــول الموائد وتدور القهوة العربية يحملها معروف..

غوما ـ نحن كلنا آذان صاغية..

الرسول ـ سيدى إن الموضوع شديد الحرج فأنتم هنا على الحدود تعبئــون حملة للهجــوم على الحـكام العثمانيين فى طرابلــس ـ وبـاى تونــس تربطه بكم مشاعر المودة والحفاظ على العهد وحسن الضيافة ولكــن أيضاً تربطه مشاعــر حسن الجوار مع جيرانــه العثمانيين وهو لا يريــد أن يكــون عوناً على عدوان ولا خائنــاً لعهد الجار ولا هو يريد أيضاً أن يخون عهد الضيافة..

وهــو لهذا يقترح حلاً وسطا أن ترحلوا بعسكركم إلى دواخل تونس بعيداً عن الحدود وبعيداً عن استفزاز الجيران.

لحظة صمت لا تسمع فيها إلا رشفات القهوة..

غوما ـ هــذه رحلة محفوفة بالمخاطــر.. ودواخل تونس صحارى جــرد يشــح فيها الماء.. وســوف تكون حياتنــا فيها حيــاة العزلة بين قبائل لا نعرفها..

الرسول ـ إن كنت تخشى من أخطار الطريق فإن الجيش التونسى بألويته وفرسانه على استعداد لحراسة قواتكم..

غومــا ـ لسنا فــى حاجة لمن يحرسنــا.. إنما الوحشــة والانقطاع والبعد عن الـهدف الذى احتشدنا من أجله هو ما نخشى.

الرســـول ـ إن المـيرلاى بورشيد يخيِّرك بين هـذا وبين الجلاء عن البلاد.

غوما ـ (**يفيق فجاة**) أهو تهديد ؟..

الرسول ـ بل هو رجاء الصديق.. ولك الخيرة فيما تختار..

لحظة صمت..

غوما ـ حسناً.. سوف أفكر فى الأمر.. وأبلغك..

الرسول ـ نسأل الله الهداية..

الرسول ـ أستأذنك.

يقوم غوما والضباط.

غومـا يودع الرسول عند بـاب الخيمة.. يختفـى الرسول فى ظلام الصحراء ثم تُسمع سنابك حصانه تبتعد مسرعة.. يعود غوما وصحبه إلى داخل الخيمة.. غوما قلق يروح ويجىء فى عصبية.

غوما ـ إذن هو تهديد فى النهاية ؟.

أحد الضباط ـ الـرأى أن نذهب إلى دواخل تونس كما يريد الباى حتى تهدأ الأحوال..

غوما ـ الذهـاب إلى دواخل تونس معناه أن نُقبر نحن وآمالنا بين بـدو جفـاة يقطعونَ الطريق من أجـل قربة ماء.. معنـاه أن تتقطع بنا السبل فلا نبأ يأتينا من بلادنا ولا نبأ يصدر عنا.. معناه الموت ببطء جوعاً وعطشاً وعزلة..

أحد الضباط ـ وما سبق من نداء البـاى إلى جنود الميرلاى بورشيد يكشف لنا سوء النوايا فالجند يحشدون ويجهزون لاقتياد العصاة..

ضابط آخر ـ العصاة الذين لا يسمعون النصيحة.

ضابط آخر ـ وإذا قبلنـا النصيحـة وتركنـا تونس سـوف نقع فى قبضـة ثلاثين ألـف مقاتل عثمانى علـى الحدود فى انتظـار لحظـة خـروج الطائـر المهيض الجنـاح من القفص.

ضابط آخر ـ وإذا بقينا فى تونس وقعنا فى قبضة جنود الميرلاى بورشيد..

ضابط آخر ـ أى النهاية ؟..

ضابط آخر ـ الرأى لغوما..

غوما ـ رأيـى أن الذهـاب إلى دواخل تونـس هـى هجرة اليأس التى لا أمل بعدها سـوى الفوت.. الموت بلا معركة محاصرين بـالرمال مـن كل الجهات.. موت لن يكلف العثمانيين ولا التونسيين رجلاً واحداً ولا طلقة رصاص..

ضابط ـ وما الرأى إذن ؟.

غوما ـ أن نبقى..

ضابط ـ ونحارب فى جبهتين ؟.

غوما ـ هناك أمل دائماً لمن يحارب.. أما من يستسلم فلا أمل له..

لحظة صمت ثقيلة كئيبة..

غوما ـ (محاولاً إشاعة بعض التفاؤل) هناك أمل فى الإفلات من كلابـة التونسيين والعثمانيين والعـودة إلى الجبل أو إلى دواخل ليبيا حيث أهلينا وجيراننا ، إنه الاختيار الصعب ولكن ليس لنا غيره.

(الوجـــوم علـــى كل الوجـــوه ، ومعروف متجمد كتمثـــال.. يظلم المسرح تدريجيا..)..

المشهد صحراء ظهرا.. ضوء شديد ، الشمس المحرقة تكوى الرمال، نرى خيمـــة كبيرة ممزقة فى بعضـــ أماكنها هى خيمـــة غوما إلى جوارهـــا فرس مقتولة ومغطاة بملاءة نرى من بعيد غوما قادماً من الخلفيـــة يحمل زمزمية مـــاء ويسير متباطئا وعلـــى كتفه البندقية والسيـــف يتأرجح فى نطاقه ، ملابسه تمزقت هى الأخرى وبدا عليه الإعيـــاء والإرهاق.. خطوته المتهالكـــة تدل على التعب وطول الجلاد والصراع ، لا نرى أثراً لباقى الجيش..

يقترب غوما من الخيمة ، يركع إلى جوار الفرس القتيل ويرفع فمها ويدلق فيها قطرات الماء من الزمزمية ولكن رأسها الثقيلة تسقط بلا حراك.. لقد فارقتها الروح).

غوما ـ (راكعا إلى جـــوار فرسه القتيل) ماتت رفيقـة النضال، وتوأم الحـروب والنزال.. يـا لوعتى على ذراعـى الوحيدة..

ضـاعـت يدى اليمين (يقبل كل قدم مـن أقدام فرسه الميتة باكيـاً) كالرعد كنت كالبروق كالريــاح.. يا ربتى الجميلة الوفية.

تمضـى لحظات وهو راكـع متشبثاً بأقدام الفرسـ الميتة يبكى فى صمت وينتفض. يرفع رأسه ويتلفت حوله فى الصحراء الخالية.

ـ تفرق الجنود لا أثر.. البيد أصبحت خراب... لا صوت لا خبر.

حــارب الفرســان كالأبطال كل واحـد بألف.. تساقطـوا على ذرى الجبــال (يصرخ صرخة هـائلة) الظلم مفترسـ.. جند الظلام كثرة بلا عدد.. ربـاه.. أنت عندك المدد.. لو كر جحفل الظلام ألف عـام..

لا بد طلعة النهار مقبلة.

(تظهــر خـادم على بـاب الخيمـــة.. تقترب منه وفى يدهـا طبق بـه ثريد وجرعة مـاء).

الخـادم ـ أنت جوعـان.

غومـا ـ كيف حـال معروف.

الخـادم ـ أنت جوعـان سيدى.

غومـا ـ هل أكل معروف ؟.

الخـادم ـ اشرب جرعة مـاء ترد لك روحك .

غومـا ـ هل شرب معروف ؟.

الخـادم ـ إنه بـالداخل مـا زال غـائب الوعى.

يدخـل غومـا الخيمة ومـا يلبث أن يخـرج وهو يحمـل على صدره معروف.

غوما فـى مقدمة المسرح وقد جلس على الرمال وضم معروف إلى صدره.

معروف يفتح عينيه لأول مرة ويتنهد.

(غوما يسقيه جرعة من ماء الجرة).

معـروف ـ (يتكلـم بصعوبة) عشت طـول عمرى جبانـاً أخاف المـوت لأنه مؤلم.. ولكن الموت لا يـؤلم.. الموت لا يؤلم يا إخوتى.. إنما العار هو الذى يؤلم .

غوما ـ ماعادت الشفتان تضحكان.. جف نبع الأنس والمرح.

معروف ـ أين الرفاق ؟.

غوما ـ هل تستطيع الضحك يا معروف..

معروف ـ الضحك !! ؟

غوما ـ على الذى كان ثم لم يكن.. على الجنون مطلق السراح..

والحـق مهدر ومستباح علـى الشفاه أصبحـت رمم تنوشها الذئاب والصقور.

(فـى شرود) أكان حلماً ما جـرى.. أكان وهماً من صنائع الكرى.

أيأتى الموت يا إلهى نفتح العيون.. نهب من رقدة الخيال..نصحو على رؤية الحقيقة.

مـا أجمل الموت إذن.. والـهفـى.

صوت مدافع وطلقات رصاص.

تـخرج من كل جـانب من خلفية المسْرح فرقة تركية مدججة بـالسلاح..

تتقدم من جميع الجهات فى حصار محكم وتطلق الرصاص.

غوما - (يهب وقد أخذ يطلق بندقيته فى كل اتجاه وهو يصرخ)

والـهفــى (ينطلق مـهاجمـاً ويطلق الرصـاص يلقى بندقيته بعد نفـاد مـا فيهـا من ذخيرة ثم يجرد سيفه يهجم فى بسالة جنونية وهو يصرخ).. يـا مرحبـاً بـالموت فدية لطلعة النهار.

مبـــارزة عنيفة يبارز فيها عدداً متزايداً مــن الفرسان.. يسقط قتلى من الترك.. يُجرح غوما يهب معروف لنجدته ولكن رصاصة تعاجله.

أهــل بيت غوما وحريمه ملثمات فى الحجــاب يخرجن فزعين على بـاب الخيمة يسقط غوما بطعنة قـاتلة مجندلاً فى دمائه.

تصرخ بنـاته صرخة رهيبة.

الجنـــود الأتراك يحملون جثة غوما وجثة معروف ثم يجرون بـهما إلى الخلفية ثم ينطلقون بهما على ظهور الخيل.

بنـات غوما مولـــولات فزعات يهرعن خلف الجنـــود ثم يعدن فى خيبـــة فيركعن إلى جوار بقعـــة الدم حيث كان البطـــل مجندلاً وهن يصرخـان بلـغتهن البدوية نـادبـات :

يا طار غوما طار
نقــلوه فى مشـــوار

يا طار بابا خليفه
فى النجع لا من كيفه

بعده قعدنا جيفه
قعاد الحطب فى الدار

يا طار بابا خدوج
مولى الجحاف العوج

ســكان كل فجوج
والنجـع بعده حــار

صوت المغنى البدوى يأتى من بعيد.

يرتفع صوت المغنى :

لا تبكى يا عين

ده موت لأبطال .. ميلاد لعزم الرجال

وفجر طالع من سواد الليال

يا شمس الأفراح

يا دم نابع من بطون الجراح

يا فدية الجود والأيادى السماح

مبروك علينا الشهيد

مبروك يا خال

والصبر يا جلبى.

ستار الختام